البلاغة والنقد

قصيدة فضل اللغة العربية في ديوان خواطر الحياة للشيخ محمد الخضر حسين دراسة بلاغية

إعداد

دكتورة / نوره محمد مرسي عبيد

المدرس في قسم البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بسوهاج – جامعة الأزهر

العام الجامعي : ١٤٤٣هـ – ٢٠٢٢م

قصيدة فضل اللغة العربية في ديوان خواطر الحياة للشيخ محمد الخضر حسين دراسة بلاغية

نوره محمد مرسي عبيد

قسم البلاغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر الشريف، مصر.

البريد الإلكتروني: Nouraeiad79@azhar.edu.eg

ملخص البحث :

تقوم فكرة البحث على دراسة لقصيدة "فضل اللغة العربية" في ديوان "خواطر الحياة" للشيخ/محمد الخضر حسين، دراسة بلاغية؛ لبيان الأساليب البلاغية التي استعان بها الشيخ في إبراز فضل اللغة العربية والدفاع عنها. ومنهج الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي حيث قسمت القصيدة موضع الدراسة إلى أفكار ثم حللت تحليلًا بلاغيًا. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد ثم مبحث الدراسة البلاغية الذي اشتمل على عدة فكر، الأولى: الفكر والبيان وعلاقة القول بهما، الثانية: الآداب وولعه بها، الثالثة: اللغة العربية الفصحى والعرب الأوائل وخاصة قريش، الرابعة: شرف الفصحى بنزول القرآن بها، الخامسة: تأثير الفصحى على غير العرب، السادسة: الزمان يجني على الفصحى والشيخ يدافع عنها، السابعة: فضل الذكر في بقاء الفصحى، والثامنة: دور مصر مجمعًا ومعهدًا في حياة الفصحى، ثم وقفت وقفة نقدية مع القصيدة وذيلت الدراسة بخاتمة اشتملت على أهم نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: فضل– اللغة العربية– خواطر الحياة – محمد الخضر حسين.

Arabic Fadl" Poem in the Diwan of "Thoughts of Life" by Sheikh Mohammed al-Khader Hussein - rhetorical study

Noura Mohamed Morsi Ebeid
Department of Rhetoric, Faculty of Islamic and Arabic Studies for girls
, Egypt. Al Azhar University
E-mail: Nouraeiad79@azhar.edu.eg

Abstract: The idea of research is based on a study of the poem " Fadhl Legha Al-arabia" in the diwan "Thoughts of Life" by Sheikh Mohammed al-Khader Hussein, a rhetorical study, to illustrate the rhetorical methods used by the Sheikh in highlighting and defending the virtue of the Arabic language. The approach of this study is the descriptive analytical approach, in which the poem was divided into ideas and then analysed rhetorically.The nature of the research required that it includes an introduction and a preface and then the chapter of the rhetorical study, which included several thoughts, the first: thought and indication and the relationship to say them, the second: literature and its fondness of it, the third: the literary Arabic language and the early Arabs, especially Quraysh, the fourth: the honor of the literary Arabic with which the Qur'an descended, the fifth: the influence of literary Arabic on non-Arabs, the sixth: time reaps on the literary Arabic and the

sheikh defends it, seventh: He preferred to mention the survival of the classical, and the eighth: the role of Egypt as an institute in the life of the literary Arabic.Then she stood critically with the poem and followed the study with a conclusion that included the most important results of the research.

Keywords: Fadl- Arabic , Thoughts of Life , Mohammed Al-Khader Hussein.

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد للّه رب العالمين، أنزل الكتاب بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه من الأنصار والمهاجرين أفضل الصلاة وأتم التسليم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فإنَّ اللغةَ العربيةَ ركنٌ من أركانِ الدينِ، إذ هي أساسُ فَهْمِ مَصْدَرِي التشريعِ القرآنِ الكريمِ والسنةِ المشرفةِ، وبها شُرِحَ، فلا تستطيع فهم أحكام القرآن ولا آدابه، ولا تستطيع التفرقةَ بينَ مُحكمِهِ، ومتشَابهِهِ، ولا مجملِهِ، ومفصله إلا بمعرفتها تمامَ المعرفةِ، وكذلك أحاديث المصطفى (ﷺ) لا يمكن فهم مراده كما قُصِدَ إلا بالوقوف على دقائقها. كما أن العربية هي مجد العرب، وعزتهم، وشرفهم، وبها رأينا ماضينا ومستقبلنا، وهي لغة قرآننا الكريم وسنة نبينا(ﷺ) قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٢) وقال النبي(ﷺ) في فضلها: "أَحِبُّوا العربَ لثلاثٍ: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلامَ أهلِ الجنةِ عربي"(٣) واهتم صحابته ﭫ بتعلمها،

---

(١) سورة يوسف :الآية ٢.

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٨.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين الهيثمي ت/ حسام الدين القدسي – نشر مكتبة القدسي ١٤١٤هـ-١٩٩٤م/ باب ما جاء في فضل العرب رقم١٦٦٠٠ – ١٠/٥٢.

وحرصوا على تعليمها، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ يوصي أبا موسى الأشعري فيقول: "تفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن، فإنه عربي" كما حرص الخلفاء والوزراء على تحفيظ أبنائهم القرآن الكريم ، وأحاديث النبي (ﷺ) ومدارسة العربية وعلومها على يد أرباب العربية، وأغدقوا عليهم الهبات والعطايا لإدراكهم قيمتها وقيمة تعلمها.

والشعر هو فنُ العربية الأول وموردُهَا العذب وهو ديوان العرب ومصدر فخرهم قديمًا وحديثًا؛ لذا كان من الواجب علينا أن نشمر عن سواعدنا محافظين عليه ومدافعين عن لغته–لاسيما –بعد تعرضها لتلك الطعون الواهية من الحاقدين الذين اتهموها بالقصور في مواكبة ومسايرة عصر التقنيات الحديثة، وإذا قصر اللسان عن قرض الشعر دفاعًا عنها؛ فإن مدارسة شعر من دافعوا عنها، وأبرزوا فضلها له أثره في العقول؛ إذ هذه الدراسات وخاصة البلاغية تُبرز الجمال في الأسلوب وترقي الذوق الحسي لتذوقه، وقد استل الشيخ محمد الخضر حسين رَحِمَهُ اللَّهُ قلمه ليسطر لنا قصيدة "فضل اللغة العربية" مستعرضًا فيها فضل العربية على العرب والعجم، ومقررًا صلاحيتها لكل العصور، والأزمان، والعلوم، والفنون ومسايرتها للحضارة؛ بسبب غزارة مادتها وإحكام أساليبها ما يُمكن قاصدها من صياغة الحقائق والمتخيلات، إلا أنه " أدركها بعض النقص وأخذت تتباطأُ في مسايرة العلوم، والمدنية حتى تَقَدمها كثير من اللغات النامية.....

ولم تقع العربية في هذا التباطؤ لقلة مفرداتها، أو ضيق دائرة تصريفها، وإبايتها نقل بعض كلماتها من معانيها الأصلية إلى معان أخرى تناسبها، ولو كان لشيء من هذا دخل في تباطؤها، لعذرنا أولئك الذين يحاولون صرف الألسنة عنها والذين يدعون إلى استعمال الألفاظ الأعجمية وحشرها في منشآتنا وأشعارنا وخطبنا ومحاوراتنا، وإنما يرجع سبب ذلك إلى غفلة المعهود إليهم بالقيام على حياة اللغة، ومسايرتها للعلوم والفنون، والمدنية " [1] حتى تنهض إلى مستوى اللغات الراقية عن طريق تأليف مجمع لغوي ينظر فيما يتجدد من معاني ويضع لها الألفاظ المناسبة.

وهكذا وجدنا الشيخ يعالج قضية مجتمعية لغوية، ولا أبالغ إن قلْتُ دينيةٌ، فالفصحى أساسُ الهويةِ العربيةِ ،والدينية وقد رأينا انحراف الألسنة في العصر الحديث أيضًا عن العربية وإقحام المفردات الأجنبية في أحاديثنا اليومية، فهي ظاهرة تحتاج المعالجة والتصدي لها، كما رأينا العزوف عن الدراسات العربية والتباهي بالالتحاق بمعاقل التعليم الأجنبي، قد وضع بذرة في أرض العرب، وكان هذا من أسباب ميلي إلى مدارسة هذه القصيدة من خلال تحليلها تحليلًا بلاغيًا يهدف إلى إبراز فكرها ومعانيها في حُلاها البيانية، والبديعية وبيان بلاغتها، وقد شاعت الدراسات الأدبية،

---

(١) راجع موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر وعلَّامة المغرب– جمع وضبط المحامي علي الرضا طـــ١– ١٤٣١هـــ –٢٠١٠م– دار النوادر–سوريا ٢٥/٦.

والفنية، والدلالية حول ديوان "خواطر الحياة" إلا أنني لم أجد دراسة بلاغية للقصيدة موضع الدراسةِ، ومن هذه الدراسات رسالة دكتوراه بعنوان " الشيخ محمد الخضر حسين حياته وجهوده في الدعوة إلى الله " د/ محمد عبدالسميع جاد– مكتبة جامعة الأزهر، وهي دراسة تهدف إلى بيان جهود الشيخ في مجال الدعوة.

ورسالة ماجستير بعنوان "ديوان خواطر الحياة دراسة موضوعية فنية" للباحثة/ إيمان وليد نصيف الزبيدي ٢٠٠٥م، جامعة بغداد كلية الآداب.

وبحث بعنوان" نظرات في ديوان خواطر الحياة " للدكتور/ السيد فتح الله عبدالعزيز غزالة – حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر الشريف ٢٠١٤م، تناول الباحث فيه شعر الشاعر الذي عالج فيه ما شاع من أمراض اجتماعية ونكسات في تلك الآونة، وقدم الباحث نظرات موضوعية لشعر الشاعر ثم أتبعها بنظرات فنية ممتثلة في التجربة الشعورية والخيال الشعري وأدوات ذلك. ومقال بعنوان" قراءة في ديوان خواطر الحياة للشيخ العلامة محمد الخضر حسين" ضمن مجلة الحوار الجزائر٢٦ أغسطس ٢٠١٦م للناقد د/ عبدالله لالي بسكرة تناول فيها مقطوعات من شعر الشيخ محمد الخضر حسين معلقًا عليها تعليقًا موضوعيًا فنيًا، وصف شعر الشيخ بشعر الفحول، ونص على أنَّ شعرَهُ فيه دلالةٌ على تمكن صاحبه من الصياغة والإبداع، وجمال الصورة مع

عصارة من الحكمة؛ والتجربة البالغة.

وبحث بعنوان " شرف الفصحى بين عَشَرَة شعراء دراسة في أصداء الدعوة المتجددة للعامية " حولية كلية اللغة العربية بجرجا للباحث د/ ياسر السيد عبد العال البنا – العدد الخامس عشر ٢٠١١-١٤٣٢/ ج٣ قدم فيه الباحث دراسة فنية نقدية لعشرة قصائد من شعر شعراء دافعوا عن العربية، من خلال تفصيل الصور الشعرية، والفكرة الجزئية فيها.

واعتمدْتُ المنهج الوصفي التحليلي لهذه الدراسة التي جاءت في مقدمة، وتمهيد، ثم قمت بتحليل القصيدة تحليلًا بلاغيًا، ثم وقفت معها وقفة نقدية، ثم خاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وأخيرًا فهرس للموضوعات.

وجاء البحثُ في مقدمةٍ وتمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: حديثه عن الفكر والبيان ويشتمل على:

– حديثه عن الفكر وعلاقته بالقول.

– حديثه عن البيان وعلاقته بالمعاني.

المبحث الثاني: وصف وجده بالآداب والبحث والعربية ويشتمل على:

– وصف وجده بالآداب والأدباء.

– وصف وجده بالبحث ابتكارًا وانتقادًا.

– وصف وجده بالفصحى.

المبحث الثالث: فضل الذكر الحكيم على العربية وفضل العربية على كل علم وأرض ويشتمل على:

- القرآن سبب مجد العربية.
- فضل العربية على كل أرض.
- أثر العربية على غير العرب.

المبحث الرابع: اجتناء الزمان على الفصحى وفضل القرآن ومصر في بقائها ويشتمل على:

- اجتناء الزمان على الفصحى.
- فضل القرآن في بقائها.
- فضل مصر في بقائها.

وذيلت المباحث بوقفة بلاغيةٌ فنية، وخاتمة اشتملت على أهم نتائج الدراسة، وفهارس للمصادر والمراجع والموضوعات.

أما المقدمة فقد أشرت فيها إلى أهميّة الدراسة من حيثُ ارتباط اللغة العربية بالدين، وارتباط الشعر بالعربية، وأهمية لغتنا العربية في حياتنا، والواجب علينا نحوها، وإشارة إلى قصيدة فضل اللغة العربية وقائلها، ثم ذكرت أهم الدراسات السابقة التي دارت حول ديوان خواطر الحياة للشيخ محمد الخضر حسين، ثم خطة البحث.

وأما التمهيد: فقد ذكرْتُ فيه تعريفًا بالشاعر، اسمه، مولده، نشأته، شيوخه، مذهبه، مؤلفاته، جهوده الإصلاحية، وعمله

بالأزهر، وتوليه المشيخة ثم وفاته. ثم ذكرْتُ نبذةً عن اللغة العربية، ومكانتها، ثم ذكرت وصفًا لديوان خواطر الحياة وقصيدة "فضل اللغة العربية" من حيثُ رويُها، وبحرُها، وعددُ أبياتها، ومناسبتها، ثم ذكرت القصيدة كما وردت في ديوان خواطر الحياة وأشرت إلى الأفكار التي دارت حولها القصيدة.

ثم المباحث البلاغية السابق ذكرها، وأعقبته بوقفة نقدية فنية للقصيدة، ثم خاتمة وثبت للمصادر والمراجع ثم فهرس الموضوعات.

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (١)

(١) النحل: ٩.

التمهيد

ويشتمل على :

أولًا : تعريف بالشاعر وديوانه.

ثانيًا: نبذة عن اللغة العربية وفضلها ونص القصيدة.

أولاً : التعريف بالشاعر: الشيخ محمد الخضر حسين

اسمه :

محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسيني، عالم إسلامي، وأديب، وباحث ورائد من رواد الوسطية، والتجديد في القرن الرابع عشر الهجري، وشيخ من شيوخ الجامع الأزهر. ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن السيدة فاطمة الزهراء بنت المصطفى(ﷺ)[1] وأصل اسمه الأخضر بن الحسين ثم تحور

---

(١) ينظر ترجمة الإمام محمد الخضر حسين في الأعلام للزركلي طـ٥ /٢٠٠٢م – دار العلم للملايين ١١٣/٦– وكتاب "تراجم المؤلفين التونسيين" للمحقق والأديب الأستاذ محمد مصطفى محفوظ – طـ٢ ١٩٩٤م– بيروت – لبنان دار الغرب الاسلامي ١٢٦/٢، الموسوعة الكاملة لأعمال الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر وعلامة المغرب أعتنى به ابن أخيه المحامي على الرضا الحسيني طـ١/ ١٤٣١هـ–٢٠١٠م –دار النوادر–سوريا–لبنان–الكويت ٤٥٩/١٣ الأزهر في ألف عام، محمد عبد المنعم خفاجي ٣٢٨/١ – عالم الكتب بدون طبعة، معجم المؤلفين لكحالة، مكتبة المثنى – بيروت– دار إحياء التراث ٢٧٩/٩، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث لأحمد تيمور– نشر دار الآفاق ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م صـ ٣٧٨–٣٨١.

بالحذف إلى محمد الخضر حسين. وهو تونسي المولد والنشأة جزائري الأصل مصري الجنسية.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ يوم الأربعاء (السادس والعشرين من رجب، سنة ثلاث وتسعين ومائتين من الهجرة، الموافق الثالث والعشرين من يوليو، سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة وألف من الميلاد) ببلدة "نفطة" والتي ذَاعَ صيتُها في الأدب المنظوم، والمنثور، والعلوم حتى أُطلق عليها لقب "الكوفة الصغرى" نشأ فيها على مجالسة العلماء؛ فتذوق عذوبة الأدب منذ صغره مما دفعه إلى محاولة نظم الشعر وهو في الثانية عَشْرَةَ من عمره! ولا عجب فقد نبت في مدينة ذات مناخ شاعري ملهم، وترعرع بجامع الزيتونة بتونس الذي أولع أساتذته وطلابه بالأدب وقرض الشعر، فكان ينظم قصائد تهنئة لمن يُتم دراسة بعض الكتب من أساتذته.

حفظ القرآن الكريم، وتخرج في جامع الزيتونة ،وحصل منه على شهادة التطويع في (عام ستة عشر وثلاثمائة وألف من الهجرة، الموافق ثمانية وتسعين وثمانمائة وألف من الميلاد) ثم تطوع بالتدريس فيه بعد تخرجه مباشرةً ودَرَّسَ كتاب "المثل السائر" لابن الأثير وكان درسًا عظيمُ الصدى في الأوساط العلمية! ثم أسس أول منظمة طلابية بتونس تحت إشرافه باسم (جمعية تلامذة جامع الزيتونة).

أصدر في عام (أربعة وتسعمائة وألف من الميلاد) مجلة باسم "السعادة العظمى" وهي نصف شهرية استمرت قرابة العام، وبلغت أعدادها حوالي واحدًا وعشرين عددًا، وكان صدورها أمرًا رَاقَ علماءُ الأدبِ والإصلاحِ الشبابُ حيث كانت المجلة تقوم على حرية النقد واحترام التفكير، وفتح باب الاجتهاد الأمر الذي أزعج هيئة النظارة العلمية بجامع الزيتونة فطالبت الحكومة بوقف إصدارها ومعارضتها. وحدث ذلك بعد أن أتت المجلة أكلها وثمارها حيث كشفت شخصية صاحبها، ومكانته العليا في النثر الفني، والعلمي ووجهته في تجديد الأغراض الشعرية بطرق المعاني الاجتماعية، والدعوة إلى النهضة، والتجدد والتحرر.

ثم أبعدته الحكومة عن العاصمة إثر وشي المتزمتون من علماء الزيتونة، ورجال المجلس الشرعي؛ بسبب أفكاره التحررية والإصلاحية، ونصبته الحكومة قاضيًا على مدينة بنزرت عام (خمسة وتسعمائة وألف من الميلاد)، كما درَّسَ وخطب في جامعها الكبير، ثم استقال من القضاء بعد أن ضايقته السلطة الاستعمارية لإلقائه محاضرة بعنوان "الحرية في الإسلام" ثم عاد للتدريس بجامع الزيتونة عام(سبعة وتسعمائة وألف من الميلاد) وعُين مدرسًا بالمدرسة الصادقية كما درَّسَ الآداب، والإنشاء بالمدرسة الخلدونية ثم قام برحلة إلى اسطنبول، ومصر، والشام وبعد عودته مُنع من التدريس؛ فهاجر إلى المشرق واستقر في دمشق وباشر التدريس

فيها في المدرسة السلطانية حتى عام (سبعة عشر وتسعمائة وألف من الميلاد) ثم غادر إلى اسطنبول حيث عُين مفتشًا بوزارة الحربية ثم تردد بين برلين، واسطنبول إلى أن سقطت اسطنبول بأيدي الحلفاء فاستقر في دمشق وعُين مدرسًا في ثلاثةِ معاهد وهي "المدرسة العثمانية، والمدرسة العسكرية، والمدرسة السلطانية" وعُين عضوًا عاملًا بالمجمع العلمي العربي بدمشق. ثم احتل الفرنسيون دمشق عام (عشرين وسبعمائة وألف من الميلاد)؛ فتركها وحرص على عضوية المجمع فصار عضوًا بالمراسلة حتى آخر أيامه، وحرَّضَ المغاربة وخاصة التونسيين على الثورة ضد المحتل الفرنسي؛ فحكمت عليه فرنسا بالإعدام غيابيًا! ففر إلى دمشق متوجهًا إلى مصر التي فضلها دون غيرها نظرًا لوجود أصدقاء له فيها.

شيوخه :

أخذ عن عمه حسين بن الخوجه، والشيخ حسين البارودي، والشيخ محمد السناوي، والشيخ إبراهيم الرياحي، والشيخ بن ملوكه، والشيخ محمد بن عاشور، والشيخ ابن سلامه، والشيخ محمد النيفي، والشيخ معاوية، والشيخ الخضار، والشيخ محمد الشنقيطي [١] وبذلك تحقق أمل والدته المنشود فقد كانت منذ صغره تحمله وتغني له

(١) راجع أعلام الفكر الإسلامي لأحمد تيمور صـــ٣٧٤.

يا ربي الأكبر تخلِّي لي محمد الأخضر
يقرأ في الجامع الأزهر ويشتهر في المالكية.

مذهبه:

قيل: إنه كان أشعري وقيل: إنه كان سلفي [١] .

مؤلفاته :

خلَّف الشيخ محمد الخضر آثارًا خالدة للعلم ،والمكتبات ومنها: كتاب رسائل الإصلاح، أديان العرب قبل الإسلام، تونس وجامع الزيتونة، تونس٦٧ عامًا تحت الاحتلال الفرنساوي، حياة ابن خلدون، ومثل من فلسفته الاجتماعية، دراسات في العربية وتاريخها، الرحلات، الحرية في الإسلام، الخيال في الشعر العربي، آداب الحرب في الإسلام، نقض كتاب في الشعر الجاهلي، نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم، الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، القاديانية والبهائية، أسرار التنزيل، الشريعة الإسلامية، محمد رسول الله (ﷺ) وخاتم النبيين، بلاغة القرآن، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر، ديوان خواطر الحياة، بحوث ومقالات نشرت في عدة مجلات منها مجلة الأزهر ونور الإسلام ولواء الإسلام والهداية الإسلامية، تعليقات على كتاب الموافقات للشاطبي [٢] .

---

(١) أرشيف ملتقى أهل الحديث ٣، منتدى عقيدة أهل السنة والجماعة .http:/www.ahlalhadeeth.com

(٢) الموسوعة الكاملة لأعمال الشيخ ١٢٨/١٤ وما بعدها.

جهوده الإصلاحية :

عالمٌ بارعٌ، ومؤلفٌ موهوبٌ، مثل الشيخ الخضر من شأنه ألا يكتفي بوسيلة واحدة من وسائل الإصلاح فاتجه إلى إنشاء الجمعيات الإصلاحية ومنها :"جمعية تعاون جاليات شمال إفريقيا" التي عملت على رفع المستوى الثقافي والاجتماعي لهذه الجاليات و"جمعية الشبان المسلمين" التي أسسها عام (سبعة وعشرين وتسعمائة وألف من الميلاد) مع العلامة أحمد تيمور، والتي هدف من إنشائها إلى التعريف بالإسلام، والذود عن حياضه؛ حيث كانت مصر تتعرض لحملات ثقافية تغريبية لطمس هوية البلاد.

وعندما آتت الجمعية أكلها سارع بإنشاء جمعية "الهداية الإسلامية" وجعل أعضاءها من شيوخ الأزهر وشبابه، وطبقات من المثقفين ثقافة مدنية، وأنشأ بها مكتبة كبيرة كانت مكتبته الخاصة نواة لها، وهي جمعية ذات نشاط علمي أكثر منه اجتماعي، كما أصدر مجلة باسمها، وحرر مقالات، ومحاضرات منتظمة جُمعت فيما بعد في كتابه المسمى" رسائل الإصلاح" الذي قدم فيه معالم دعوته للإحياء الإسلامي والنهضة العربية، وتحرير ديار العروبة والإسلام.

أنشأ في دمشق جمعية "النمو الإسلامي" ولها مجلة باسمها أيضًا نشر فيها مباحث دينية واجتماعية، وتاريخية قيمة [١]. كما

---

(١) الموسوعة الكاملة لأعمال الشيخ ٣/٢١٥،٢١٦.

أنشأ "الجمعية الغراء" التي أسست المدارس لتعليم الدين والعربية، كما ألف "جمعية العلماء" والتي عملت من أجل الغرض الذي أنشئت من أجله، وهو الذود عن حمى الشريعة، والعمل على المحافظة على نشر العلم ورفعة أهله [١] . وأسس العديد من المجلات ومنها: مجلة "السعادة العظمى" وهي مجلة دينية أدبية دعت للإصلاح وتغيير المناهج، و"مجلة الشبان المسلمين" وهي مجلة إسلامية أخلاقية كتب وحاضر فيها، و"مجلة الهداية الإسلامية" التي أسسها بعد استقراره في القاهرة، وهي ناطقة بلسان جمعية الهداية الإسلامية. نادى الشيخ من خلالها للإصلاح والدفاع عن الإسلام والمسلمين، كما أولت المجلة اهتمامًا كبيرًا بقضايا المغرب العربي التحررية ضد الاستعمار الفرنسي [٢] ، ومجلة نور الإسلام التي أصدرتها مشيخة الأزهر وترأسها الشيخ، ثم استبدلتها المشيخة بمجلة جديدة وهي "مجلة الأزهر" تخلى عن رئاستها، ولكنه واصل الكتابة فيها، ومجلة "لواء الإسلام" التي أصدرها صديقه أحمد حمزه عام(خمسة وأربعين وتسعمائة وألف من الميلاد)، وعهد إلى الشيخ الخضر رئاستها، وهي مجلة دينية ثقافية اجتماعية. فلما انشغل بمنصب المشيخة تخلى عن رئاسة التحرير، واقتصر على الكتابة فقط، و"مجلة الفتح" أسسها صديقه محب الدين الخطيب كتب

---

(١) المرجع السابق ١٣٧/١١.

(٢) الموسوعة الكاملة لأعمال الشيخ صـــ١٤٥-١٤٦.

الخضر فيها بما يلائم اتجاهاته الدينية، و"مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة" كتب الشيح في عددها الأول بحثًا بعنوان" المجاز والمقال وأثرهما في حياة اللغة العربية " [١]، ومجلة المجمع العلمي العربي" له فيها أخبار وبحوث ومحاضرات، و"مجلة البدر" وهي مجلة أدبية علمية كانت تهدف إلى النهضة الثقافية التونسية، و"مجلة الزيتونة" وهي إسلامية تونسية، "مجلة الزهراء" وهي مجلة أدبية اجتماعية أنشأها صديقه محب الدين الخطيب [٢] .

الشيخ الخضر والأزهر الشريف :

حصل الشيخ على شهادة العالمية من جامعة الأزهر الشريف، وصار من مدرسي الأزهر في معاهده الثانوية، وأثناء تولي الشيخ محمد مصطفى المراغي مشيخة الأزهر عُين أستاذًا في كلية أصول الدين ثم عضوًا في هيئة كبار العلماء بعدما قدم بحثًا عن "القياس في اللغة" في عام(ثمانية وعشرين وتسعمائة وألف من الميلاد)، ثم عُين بالمجمع اللغوي بمرسوم من الملك أحمد فؤاد في عام(سبعة وثلاثين وتسعمائة وألف من الميلاد) وألقى فيه بقاعة المحاضرات محاضرة بعنوان " أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية"، وعلى الرغم من كثرة المناصب التي تولاها الشيخ لم يدخر وسعًا في دعم قضايا المغرب العربي؛ فأسس "جبهة الدفاع

---

(١) المرجع السابق ١٤/١٤٧ وما بعدها.

(٢) الموسوعة الكاملة لأعمال الشيخ ١٤/١٥٠.

عن شمال إفريقيا" والتي كان من بين أعضائها الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة، ومحيي الدين القليبي.

الشيخ ومشيخة الأزهر الشريف :

تولى الشيخ مشيخة الأزهر الشريف مع قيام الثورة الناصرية عام(اثنين وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد) حتى عام (أربعة وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد) وهو الإمام التاسع والثلاثون، قبله الشيخ عبد المجيد سليم البشري وبعده الشيخ عبد الرحمن تاج.

من قضاياه الفكرية:

تصدى الشيخ محمد الخضر حسين لكثير من القضايا الفكرية التي أثارت الرأي العام الإسلامي من خلال مؤلفاته وبالخصوص كتابيه "نقض كتاب في الشعر الجاهلي" الذي ألفه نقدًا لكتاب "في الشعر الجاهلي" الذي ألفه د/ طه حسين، والذي أثار به الرأي العام الإسلامي بسبب تلك المغالطات الزائفة العلمية والتاريخية التي ضمنها د/طه حسين في كتابه بالتشكيك في كل قديم في الأدب الجاهلي، وزعمه أنه مختلق بل تجرأ بالهجوم على المقدسات الدينية حيث قال: إن حديث التوراة والقرآن عن سيدنا إبراهيم وإسماعيل غيرُ كافٍ لإثبات وجودهما التاريخي، فكشف الشيخ محمد الخضر عن مجافاة د/طه حسين للحق وأنه أعتمد على ما كتبه المستشرق الإنجليزي "مرجليوث" دون أن ينص على ذلك، فنقد الإمام الخضر

هذا الكتاب بأسلوب متفرد حيث كان يورد الفقرة المراد نقدها بنصها، ثم يورد نقدها مما يعين القارئ على فهم مدار المناقشة والبحث لذا يعتبر هذا الكتاب من المراجع الهامة لدراسة الأدب الجاهلي عند الباحثين ،والمفكرين وقد نتج عن ذلك الحكم على كتاب د/طه حسين بالمقاطعة، وتقديمه لاستقالته من الجامعة بعد مصادرة الكتاب (١) وهناك قضية فكرية أخرى تولاها الشيخ، وهي نقض كتاب "الإسلام وأصول الحكم" الذي ظهر سنة (ست وعشرين وتسعمائة وألف من الميلاد) صادمًا للرأي العام عندما زعم مؤلفه أن الإسلام ليس دين حكم، وكانت الصدمة الكبرى هي كون مؤلف الكتاب أحد علماء الأزهر وهو الشيخ/علي عبد الرازق فنقد الإمام الخضر هذا الكتاب متتبعًا أبوابه بالتلخيص، فكان يورد الفقرة التي تعبر عن الفكرة فينقضها، وكشف عن طريقة المؤلف في قطع الجمل من سياقها فتؤدي المعنى الذي يقصده هو لا المؤلف الذي يستند إليه علي عبدالرازق فيما يطلق في كتابه. ونقد الخضر يدل على رسوخ قدمه في العلوم الإسلامية، والعربية بأدلته الناصعة، ولغته البينة مع أدب صريح، وخلق متين يدل على أن صاحبه ممن تأدبوا بالإسلام وتشبعوا به، كما يدُّلُ أيْضًا على غزارة علمه، وإلمامه بأصول الفقه، وقواعد الحجاج (٢) .

---

(١) راجع الموسوعة الكاملة لأعمال الشيخ ٣/٨ وما بعده.

(٢) راجع الموسوعة الكاملة لأعمال الشيخ ٥/٩ وما بعده.

وفاته :

ما برحت مجالسه بأهل العلم حافلة، وبراعته على تحرير الفتاوي شاهدة إلى أن توفى عام (سبعة وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، الموافق ثمانية وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد) تغمده ﷺ بواسع رحمته ورضوانه ودُفن بجوار العلامة أحمد تيمور باشا! ودفن بمدافن الأسرة التيمورية بالإمام الشافعي بناءً على وصيته(١).

ثانيًا: نبذة عن اللغة العربية وفضلها ونص القصيدة:

تعرضت العربية لهجمة من بداية حكم الدولة العثمانية وأصابها الضعف؛ حتى اُسْتُبدلت باللغة التركية في الدواوين ،والتعليم ولم يكن لها جُند يدافعون عنها إلا الأزهر الشريف في مصر، والزيتونة في تونس، وجامعة القروين في المغرب، وبعد سقوط الدولة العثمانية وتعرض البلاد للاحتلال الأجنبي أحل لغاته الأجنبية محل العربية هادفًا إلى هدم القومية العربية !وداعيًا إلى نماء العامية المصرية ولاسيما وأنه قد ترددت دعوات معارضة للفصحى من بعض المستشرقين في مصر أمثال "وليم سبيتا"، المستشرق الألماني ومدير دار الكتب المصرية حينها حيث نشر كتابًا بعنوان "قواعد العربية العامية في مصر" دعا فيه إلى مداولة

(١) المرجع السابق ٣٣/١ ، وأعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث لأحمد تيمور صـــــ٧٧.

العامية وصرح بأن مصير الفصحى إلى اندثار، وكذلك المستشرق "لمور" قاضي بمحكمة الاستئناف في مصر وقتها، وضع كتابًا بعنوان "لغة القاهرة" يقصد العامية دعا فيه إلى استبدالها بالفصحى! ووضع لها قواعد مؤسسًا لأن تكون لغة الأدب والعلم، والمستشرق" وليم ولكوكس" الذي قام بترجمة أجزاء من الإنجيل تحت عنوان "اللغة المصرية" هادفًا إلى التخلي عن الفصحى. ولا عجب في أن يكون هذا موقف الأجنبي الحاقد على العرب والعربية إنما العجب أن تجد مثل هذه الدعوات من العرب ممن تخفوا خلف ستار التمدين، والتطور مثل "عبد العزيز فهمي" الذي دعا إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، ويوسف السباعي الكاتب في قصصه بالعامية وسلامة موسى في كتابه "البلاغة العصرية واللغة العربية" (١) .

---

(١) سلامة موسى(١٣٠٤-١٣٨٧هـ-١٨٨٧-١٩٥٨) كاتب قبطي مصري أصدر مجلة "المستقبل" وترأس تحرير مجلة "الهلال" وله أكثرمن أربعين كتاب دعا فيها إلى الكتابة بالحروف اللاتينية، عبدالعزيز فهمي(١٢٨٧-١٣٧٠هـ-١٨٧٠-١٩٥١م) أحد أبناء الأزهر اشتغل بالمحاماة، وأسس حزب الوفد. الأعلام ٢٠٨/٧." يوسف السباعي" ١٩١٧-١٩٨٧م اسمه يوسف محمد محمد عبدالوهاب السباعي، أديب ووزير مصري تخرج في الكلية الحربية وعُين وزيرًا للثقافة "http//arwikioedia.org/wiki".

وكثير من الصحف المتداولة في تلك الآونة مثل "المقتطف والمقطم"[١] إلى أن يسر لها صحفًا معارضة لهذه الفِكر الهدامة ،وأصحاب عقول مستنيرة تنبهت لهذه الرؤية القاصرة[٢] واليوم تتجدد هذه الأزمة على الفصحى؛ فترى ضعفها في مجالات مؤثرة نحو الإعلام، والتعليم، وترى الألسنة تتشدق مباهية بألفاظ أجنبية وتقحمها في استعمالاتها الحياتية، والتعليمية ولا أدري كيف! ولديهم لغة سامية من أكثر لغات العالم انتشارًا؛ "حيث يتحدث بها ما يزيد عن الأربعمائة مليون نسمة، وتحتل المركز الرابع من حيث الانتشار، وهي إحدى اللغات الرسمية الست في منظمة الأمم المتحدة، وتحتل المرتبة الثانية من بين اللغات الأكثر طلبًا في المملكة المتحدة التي قدمت تقريرًا بذلك تحت عنوان "لغات المستقبل؛ "لأنها من أغزر لغات العالم مادةً، وقارن بين لسان العرب لابن منظور وقاموس صموئيل جونسون؛ لتجد أن لسان العرب يحوي أكثر من ثمانين ألف مادة بينما الإنجليزي يحوي اثنتين وأربعين ألف كلمة فقط [٣] " وقبل هذا وذاك، فهي لغة مقدسة

---

(١) المقتطف: مجلة شامية مصرية أنشأها يعقوب صروف عام ١٨٧٦-١٨٨٨م ثم نقلها إلى مصر و"المقطم" جريدة صدرت سنة ١٨٨٨م في ظل الاحتلال البريطاني يعد فارس نمر باشا أبرز مؤسسيها.

(٢) راجع كتاب لغتنا والحياة د. عائشة عبد الرحمن ط٢ ١٩٩٨ دار المعارف ص٢٩-٣٠.

(٣) اليوم العالمي للغة العربية ar.wikipedia.org/wiki

لغة القرآن الكريم.

إذن لا بد أن تكون الفصحى هي أول قضايانا الحديثة. بل وشغلنا الشاغل نتآزر لتبيان جلالها، وعظمتها كما هبَّ لنصرتها شعراؤنا أمثال الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر. محافظة على هويتنا وثوابت ديننا.

وصف لديوان خواطر الحياة :

صدرت طبعة أولى من الديوان عام (ستة وأربعين وتسعمائة وألف من الميلاد) بالقاهرة ، وأُعيد طبعه للمرة الثانية بالقاهرة أيضًا سنة (ثلاث وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد) علق عليه الأستاذ/ محمد على النجار وطُبع للمرة الثالثة عام (ثمانية وسبعين وتسعمائة وألف من الميلاد) مع تعليقات الأستاذ/على الرضا الحسيني ابن أخو الشيخ الخضر، ثم طُبع للمرة الرابعة عام (تسعين وتسعمائة وألف من الميلاد) [١] .

يقع الديوان في سبع ومائتي صفحة، ويضم مائة وثمانين قصيدة ومقطوعة، وهو قصير النفس في معظم شعره، إذ إنَّ كثيرًا من مقطوعاته لا تتجاوز الأبيات الخمسة إلا نادرًا..... على أنَّ هناك قصائد طوال تصل إلى أربعين بيتًا ونادرًا ما تصل إلى ثمانين أو مائة. وتدور أغراض شعره بين الوطنيات، والإسلاميات، والرثاء، والوصف، والدعوة إلى النهوض بالتحرر من ربقة الجهل،

(١) موسوعة الأعمال الكاملة للشيخ محمد الخضر٧/٤– ٨.

والتخلف، والحكم الأجنبي إلى جانب عدد من قصائد الوجدان، ثم الإخوانيات [١] .

وصف لقصيدة فضل اللغة العربية مناسبتها وأفكارها وبحرها وعرضها :

استل الشيخ قلمه لينظم للتاريخ هذه القصيدة شاهرًا قصيدته في وجه هذه الدعوات الأفاقة عن العربية من قصورها عن مواكبة المدنية، ومسايرتها للعلوم الحديثة، فتصدى لهذه الأكاذيب الشيخ/ محمد الخضر حسين بهذه القصيدة التي ألقاها في احتفالية افتتاح الدورة السادسة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وقد دارت القصيدة حول غرض أساسي هو بيان فضل الفصحى، وإظهار وفاء ألفاظها، ومعانيها، وتراكيبها وتناولت أفكارًا كثيرة ذات صلة بالفكرة الرئيسة وهي إظهار ولعه بالفصحى، وعرضًا لتاريخ أصالة الفصحى ابتداءً من العصر الجاهلي حيث ارتكزت فيه على قبيلة قريش، وأسواقها الشهيرة ،ومكانتها كما رمزت القصيدة لبعض الشخصيات الشهيرة ممن تميزوا بغزارة نتاجهم اللغوي، والأدبي، كما تعرضت لبيان صلة الفصحى بالإسلام، وتشرفها بنزول القرآن الكريم بها ودوره في حفظها، وسرمديتها، وأيضًا تعرضت القصيدة لدور مصر أزهرًا ومجمعًا في حمايتها.

---

(١) المرجع السابق ١٢٢/١٤.

والقصيدة من بحر الوافر وتفعيلاته مفاعلتن مفاعلتن فعولن في كل شطر [١] ومن عرض الفكر التي اشتملت عليها القصيدة نتبين حسن تخير الشاعر لهذا البحر حيث يتسم بالهدوء ،والامتداد! ورويها هو الدال جاء بعدها حرف المد "الألف" [٢] وعدد أبياتها سبعة وثلاثون بيتًا.

(١) ينظر المرشد إلى فهم أشعار العرب د/عبدالله الطيب المجذوب نشر دار الأحمد الإسلامية، وزارة الإعلام –الصفاة، الكويت طـــ٢ ١٤٠٩هـــ ٤٠٣/١–، وعلم العروض والقوافي د/عبدالعزيز عتيق، نشر دار النهضة العربية – بيروت – لبنان صـــ٥٤.

(٢) الإيقاعات الرديفة والإيقاعات البديلة في الشعر العربي د / مصلح عبد الفتاح أفنان مجلة جامعة دمشق المجلد٢٣ العدد الأول ص ٢٠٧.

نص القصيدة:

١ – شَـــبيهانِ: الهِـــلالُ إذا تَهـــادى
وَفِكْـــرٌ بـــاتَ يَرْتَـــادُ السَّـــدادا

٢ – بَنـــاتُ الْفِكْـــرِ آبِـــدَةٌ وَلَـــوْلا
عَنـــانُ الْقَـــوْلِ لَـــمْ تُسْـــلِسْ قِيـــادا

٣ – رَعى اللهُ الأَديبَ يَرومُ مَعْنـــى
فَيُسْـــــعِدُهُ الْبَيـــــانُ بِمـــــا أَرادا

٤ – أُبَجِّلُـــهُ وَلَـــوْ لَـــمْ يَـــأْوِ ظِـــلاًّ
بَنـــى الْعَـــيْشُ الأَنيـــقُ بِـــهِ وَشَـــادا

٥ – فَهاتِ السَّيْفَ يَخْطُرُ في مَضاءٍ
وَخَـــلِّ الْغِمْـــدَ عِنْـــدَكَ والنِّجـــادا

٦ – وَيَنْزَعُ بي إلـــى الآدابِ وَجْـــدٌ
إذا قُلْـــتُ اشْـــتَفى بالوَصْـــلِ زادا

٧– فَأَنْسى"مَعْبَداً" وَ"عُرَيْـــبَ" دَهْـــراً
ولا أَنْســـى "الْبَـــديع" ولا "الْعِمـــادا"

٨– وأَسْلوا الرَّوْضَ والوَرْقاءُ تَشْـــدو
بِـــهِ وَالْغَيْـــثُ حـــاكَ لَـــهُ بِجـــادا

٩– ولا أَسْلو الطُّروسَ تَـــدورُ فيهـــا
رَحَـــى الْبَحْـــثِ ابْتِكـــاراً وَانْتِقـــادا

١٠- وَلَمْ أَنْضُ الْقَرِيحَةَ في نَسِيبٍ
وَلا عَذْلاً شَكَوْتُ وَلا بُعادا

١١- فَما أَهْوَى سِوى لُغَةٍ سَقاها
قُرَيْشٌ مِنْ بَراعَتِهِمْ شِهادا

١٢- أداروا مِنْ سَلاسَتِها رَحيقاً
وهَزُّوا مِنْ جَزالَتِها صِعادا

١٣- وطَوَّقَها كِتابُ اللهِ مَجْداً
وَزادَ سَنا بَلاغَتِها اتِّقادا

١٤- تَصيدُ بِسَحْرِ مَنْطِقِها قُلوباً
تُحاذِرُ كالجَآذِرِ أَنْ تُصادا

١٥- قَنَتْ حِكَماً رَوائِعَ لَوْ أَعارَتْ
سَناها النَّارَ لَمْ تَلِدِ الرَّمادا

١٦- سَرَتْ كالمُزْنِ يُحْيي كُلَّ أَرْضٍ
ويُبْهِجُها وِهاداً أَوْ نِجادا

١٧- وَما لِلَّهْجَةِ الْفُصْحى فَخارٌ
إذا لَمْ تَمْلإِ الدُّنْيا رَشادا

١٨- وراعَ حِلى الْفَصاحَةِ غَيْرَ
فَحَثَّوا مِنْ قَرائِحِهِمْ جِيادا

١٩- تَخــوضُ بَيانَهــا الْفَيَّــاضَ طَلْقــاً
وكانَـــتْ قَبْلَـــهُ تَـــرِدُ الثَمـــادا

٢٠- وكَم ضاهى"ابْنُ فارِس"وَهو يُــوري
زِنـــادَ الشَـــعْرِ وائِـــلَ أو إِيَـــادا

٢١- أَتاها الْعِلْــمُ يَرْسُــفَ فــي كَســادٍ
وخَطْــبُ الْعِلْــمِ أنْ يَلْقــى كَســادا

٢٢- فَأَلْفى مِــنْ مَعاجِمِهــا عُبابــاً
غَزيــرَ النَبْــعِ لا يَخْشــى نَفــادا

٢٣- فَأَوْدَعَهــا نَفائِسَــهُ وأَضْــحى
شِــعارُ الْعِلْــمِ إِعْرابــاً وَضــادا

٢٤- عَذيري مِنْ زَمانٍ ظَلَّ يَجْنــي
عَلــى الْفَصْــحى لِيُرْهِقَهــا فَســادا

٢٥- حَثا في رَوْضِها الزَّاهي قَتامــاً
وَأَنْبَــتَ بَــيْنَ أَزْهُرِهــا قَتــادا

٢٦- وَلَوْلا أَنَّ هــذا الــذَكرَ يُتْلــى
لَــرَدَّ بَيــاضَ غُرَّتِهــا سَــوادا

٢٧- أَجالَتْ طَرْفَهــا فــي كُــلَ وادٍ
فَلَمْ ترَ فــي سِــوى مِصْــرٍ مَــرادا

٢٨- فَتِلْكَ مَعاهِـدُ الْعِرْفـانِ تُـدْني
إِلَـيْهِمْ خَيْـرَ مـا يَبْغـونَ زادا

٢٩- وهـذا مَجْمـعٌ يَحْمـي تِـلاداً
ويَبْنـي طارِفـاً يَحْكـي الـتِّلادا

٣٠- كَأَنَّ عُكاظَ عادَ بِهـا اشْـتِياقٌ
إلى الْفُصْـحى فَكـانَ لَهـا مَعـادا

٣١- جَرى مـاءُ الحَيـاةِ بِوَجْنَتَيْهـا
فَهَنَّأْنـا الْيَراعَـةَ والمِـدادا

٣٢- وَقُلْنـا لِلْمَنـابِرِ: ذَكِّرينـا
عَلِيـاً حـينَ يَخْطُـبُ أَوْ زِيـادا

٣٣- فَيَا لُغَةَ النَّبِـيِّ سَـقاكِ عهْـدٌ
مِـنَ الإِصْـلاحِ يَنْـتَظِمُ الْـبِلادا

٣٤- فَمـا مِـنْ حاجَـةٍ لِلْعِلْـمِ إِلاَّ
يُقـيمُ لَهـا بِحِكْمَتـهِ سِـدادا

٣٥- يَصـونُ هِدايَـةَ اللهِ اعْتِـزازاً
بِهـا وَأَضـاعَها قَـوْمٌ عِنـادا

٣٦- تَراءى الزَّيْغُ يَنْفُضُ مِذْرَوَيْـهِ
ويَمْسَـحُ عَـنْ لَوَاحِظِـهِ رُقـادا

٣٧- وَمَنْ يَصُنِ الهُدى مُلِـتْ يَـداهُ

نَجاحـاً كلَّمـا اسْـتَوْرى زِنـادا

التحليل البلاغي لقصيدة "فضل اللغة العربية"

المبحث الأول: حديثه عن الفكر والبيان ويشتمل على:

- حديثه عن الفكر وعلاقته بالقول.
- حديثه عن البيان وعلاقته بالمعاني.

المبحث الثاني: وصف وجده بالآداب والبحث والعربية ويشتمل على:

- وصف وجده بالآداب والأدباء.
- وصف وجده بالبحث ابتكارًا وانتقادًا.
- وصف وجده بالفصحى.

المبحث الثالث: فضل الذكر الحكيم على العربية وفضل العربية على كل علم وأرض ويشتمل على:

- القرآن سبب مجد العربية.
- فضل العربية على كل أرض.
- أثر العربية على غير العرب.

المبحث الرابع: اجتناء الزمان على الفصحى وفضل القرآن ومصر في بقائها ويشتمل على:

- اجتناء الزمان على الفصحى.
- فضل القرآن في بقائها.
- فضل مصر في بقائها.

المبحث الأول

حديثه عن الفكر والبيان

الفكرة الأولى: الفكر وعلاقته بالقول:

يقول الشيخ في مستهل قصيدته "فضل اللغة العربية":

١-شَـــبيهانِ: الهِـــلالُ إذا تَهـــادى

وَفِكْـــرٌ بـــاتَ يَرْتـــادُ السَّـــدادا[١]

٢- بَنـــاتُ الْفِكْـــرِ آبِـــدَةٌ وَلَـــوْلا

عَنـــانُ الْقَـــوْلِ لَـــمْ تُسْـــلِسْ قِيـــادا

وبالنظر في القصيدة موضع الدراسة نجد أنها بُنيت على الأسلوب الخبري؛ لمناسبته لغرض القصيدة المنشود من بيان فضل اللغة العربية، ووصف فخره بها، وتقديسه لها، ومدى تأثيرها على مزاجه، وهواه، ووصفها قديمًا، وحديثًا، وبيان فضل القرآن الكريم في بقائها، فالأغراض ما بين مدح، وفخر، ووصف يناسبها حالة القص والإخبار وليس الطلب.

وابتداء القصيدة بقوله:

١- شَـــبيهانِ: الهِـــلالُ إذا تَهـــادى

وَفِكْـــرٌ بـــاتَ يَرْتـــادُ السَّـــدادا

---

(١) تهادى: "مشى مشيًا غير قوي متمايلًا وفى سكون ". السداد: "الرشاد والاستقامة" لسان العرب لابن منظور، دار الحديث،١٤٢٣-٢٠٠٣ مادة (هـ د ى ، س د د)على الترتيب.

إلى آخر المقطع يُعدُ براعة استهلال؛ حيث أشعرك البيت الأول بأنه لسان القصيدة الناطق، وصدى صوتها الراجع؛ إذ أفصح عن غرضها المنشود، فالفكر، والبيان، والقول هو الأساس الذي تقوم عليه اللغة.

تبتدئ اللغة بفكر يدور بخلد المرء، ويختلج في عقله، فينطق به لسانه قولًا مفصحًا عنه ببيان شاف وما ذاك إلَّا بلغة فصحى، ومتى أبانت وأفصحت عن فكره، فلها الفضل! وهذا هو: عنوان القصيدة وموضوعها، ولا يخفى ما لحُسن المطلع من تأثير في نفس السامع؛ لأنه أول ما يقرع سمعه فإذا كان بهذه المثابة أقبل السامع على الكلام ووعاه [١]. وفي البيت الأول عَقَدَ الشيخ الشاعر مُشابهة بقوله: "شبيهان" بين الهلال والفكر، والابتداء بها يجعل كُلًا منهما صالحًا لأن يكون مُشبهًا ومُشبهًا به في آنٍ واحد، لكن لمَّا كان الفِكر هو المقصود بالكلام وكان الأصل في التشبيه إلحاق المعنوي بالحسي، والخفي بالواضح، أعان ذلك في تحديد طرفي التشبيه، وعليه فالفكر مشبهًا والهلال مشبهًا به، لكن ليس على إطلاقه، وإنما خصه بوقت تهاديه والفكر وقت بياته قاصدًا السداد، وعلى الراجح أن المعنى الذي أراده الشيخ أن الفكر يدور في عقل صاحبه ويقوى

---

(١) راجع عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للسبكي، ت/عبدالحميد هنداوي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت _لبنان ،ط١ ١٤٢٣-٢٠٠٣م ،٥٣١/٤.

شيئًا فشيئًا غايته السداد فيما يقصد صاحبه، فإذا ناله زان هذا الفكر الجمال! وبه أشاد الناس كما هو الحال في الهلال يبدأ صغيرًا ويتدرج في حجمه من الصغر إلى الكبر حتى يستوي على سوقه فإذا اكتملت صورته أهَّله الناس وأعُجبوا به! وبدا جماله للقاصي والداني في رحاب الكون فكذا الفكر. كما أن ابتداء البيت بلفظة "شبيهان" وافتتاح القصيدة بها فيه مندوحة تعود على القارئ أو المتلقي وهي تلك الإثارة العقلية لمعرفة المتشابهين وجنسيهما فهيأ نفسه وقلبه لوعيهما وبالإفصاح عنهما يُدرك عقله العلاقة بينهما، وتبدو براعة الشيخ في الجمع بين شيئين أحدهما في أقصى درجات العلو والظهور إذ مكانه السماء، والآخر ليس في الأرض فقط، بل في داخل عقل الإنسان، فالطرفان أحدهما في غاية الظهور للكون أجمع، والآخر في غاية الخفاء ولا يُحيط به إلا صاحبه. وفي التشبيه إشارة إلى أن الفكر المستقيم لا يتأتى إلا بعد تمعن ، وضح ذلك من القيد الذي أعطاه الشاعر للمشبه به في قوله: "إذا تهادى" التي تدل على تقدمٍ في تؤدةٍ وهواده، وكذا قيد المُشبه في وصفه بالفعل "بات" التي توحي بأن صاحب الفكر ما زالت تؤرقه فكرته طوال ليله، ولم تهدأ نفسه حتى وصلت إلى غايتها من الرشد والسداد، وزاد من جمال التشبيه بناؤه على الاستعارة في "فكر بات" و"هلال تهادى" والتي يمكن حملها على المكنية إذا أُجريت في الاسم قصدًا لتجسيم الفكر، فالفكر الذي هو معنى أصبح حيًا يمكن إدراكه

بحاسة البصر، وإصابته السداد ملموسة بالارتياد، وأما إذا كان الغرض قصد إثبات تطور الفكر شيئًا فشيئًا في تمعن وتصويره بتلك الحالة التي يسير فيها الهلال في هوادةٍ وتؤده، فالأولى حملها على التبعية في الفعل "يرتاد"، وانظر إلى الاختلاف في التعبير عن "الهلال" مُعرفًا بـــ "ال" العهد لكونه معهودًا لدى السامع، والتنكير في "فكر" لقصد العموم، فكل فكر بات يرتاد السداد مشبهًا للهلال، وعروض البيت مقفاة بتقفية الضرب في "تهادا" و"سدادا" فأحدث في البيت أثرًا موسيقيًا جذبَ الأسماع، واسترعى الانتباه، فوقع في النفس موقعًا جميلًا! كما كان بمثابة الدليل الذي يرشد إلى قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها (١).

ومن تجسيم الفكر إلى تشخيصه بجعله إنساناً له بنات في قوله:

٢- بَنـــاتُ الْفِكْـــرِ آبِـــدَةٌ وَلَـــوْلا

عنانُ الْقَـــوْلِ لَـــمْ تُسْـــلِسْ قِيـــادا (٢)

فأراد بهذا البيت تحديد ماهية الفكر السابق الذكر في البيت قبله، فالفكر الذي شبهه بالهلال هو الفكر المبتكر الذي لم يُسْبق

---

(١) ينظر منهاج البلغاء، وسراج الأدباء لأبي حازم القرجاني ت. محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية – تونس ١٩٦٦ – ص ٩١.

(٢) العِنان: (سير اللجام الذي تُمسك به الدابة، سلس كان منقادًا لينًا، القيادة: مصدر وهو ما يقاد به كمقود)، لسان العرب مادة(ع ن ن ، س ل س) .

إليه، ووضح ذلك من إضافة "بنات" إلى "الفكر" ولعلك تسأل عن الجامع بين الفكر الجديد أو المُبتكر، ولفظة "بنات"، الجامع هو: أن بداية الفكرة أو الفكرة الجديدة لها صاحبٌ واحدٌ لم يسبقه إليها غيره، وكذا البنت لها أبٌ واحدٌ وهو السبب في وجودها لذا نُسبت إليه دون غيره. ثم أخبر عنها بأنها "آبدة" والآبد: هو الأمر العجيب يستغرب له، وآوابد الوحش: التي توحشت ونفرت من الإنس، وآبد الموضع: إذا توحش وخلا منه القطان، والآوابد: الوحوش (١) وبتفقد معانيها نجد أنها تدور حول الوحشة والنفار والغرابة، والمناسب في وصف الفكر أنها بمعنى شاردة .وشوارد الفكر التي تُجهد الإنسان في الوصول إليها إلا بعنان القول، وتشبيه القول بالعِنَان بطريق الإضافة بجامع لين الانقياد بهما وتذليله، وهو حسي في "العنان" ومعنوي في "القول"، والتشبيه يعد جميلًا وهو مناسب لوصف الفكر بالآباد، فإذا جمحت الأفكار على صاحبها احتاج إلى ما يُسهل انقيادها له وهو "عِنَان القول" ويمكن حمل التعبير في "عنان القول" على المكنية بتشبيه القول بـــ "اللجام" الذي يُجعل في عنق الفرس ونحوه، ويكون قوله: "لم تُسلس قيادًا" ترشيحًا

(١) راجع لسان العرب – مادة (أ ب د) ٤٦/١، والقاموس المحيط للفيروز أبادي ت/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم الرقسوسي نشر مؤسسة الرسالة طـــ٨ ١٤٢٦هـــ – ٢٠٠٥م – ١٦٤/١ باب الباء فضل الهمزة.

للاستعارة. إذ هو مما يلائم المُستعار منه فالتناسب ظاهر بين الألفاظ " آبدة، عنان، قيادًا". ومن حسن نظم البيت المفارقة في الإفراد والجمع في لفظتي "بنات الفكر" و"عنان القول" لتعدد الفكر وأنواعه بينما "القول" هو القول الفصيح الذي يُستطاع به الإفصاح عن الفكر، الذي وصفه بالغرابة والنفار مما يُجهد صاحبه في حسن انقياده، ولكنه في ذلك محفوفًا برعاية اللهﷻ.

الفكرة الثانية البيان وعلاقته بالمعاني:

يقول الشيخ:

٣- رَعى اللهُ الأَديبَ يَـرومُ مَعْنـى
فَيُسْـعِدُهُ الْبَيـانُ بِمـا أَرادا (١)

٤- أُبَجِّلُـهُ وَلَـوْ لَـمْ يَـأْوِ ظِـلاًّ
بَنـى الْعَـيْشُ الأَنيـقُ بِـهِ وَشـادا

٥- فَهاتِ السَّيْفَ يَخْطُرُ في مَضـاءٍ
وَخَـلِّ الْغِمْـدَ عِنْـدَكَ والنِّجـادا

بدأ الشيخ البيت بأسلوب خبري لفظًا ومعنى مع صياغة الفعل على الماضي للدلالة على تحقق رعاية الله وحصولها للأديب فمتى قصد المعاني ، سعد بتحقق ما أراد منها.

---

(١) يروم: رام الشيء يرومُهُ رَومًا ومرامًا: طلبه) لسان العرب مادة : (ر و م).

وخص الأديب من بين المفكرين والعلماء ؛لأن الأديب هو من ينظر إلى كل علم أو فن فيأخذ بأحسنه بخلاف العالم، فهو من يأخذ بعلم أو فن واحد، والعَالِم فكرة، ولكن الأديب فكرة وأسلوبها، وعِلْم الأديب هو النفس الإنسانية بأسرارها المتجهة إلى الطبيعة، والطبيعة بأسرارها المتجهة إلى النفس (١) لذا صدق من عرفه بأنه "من كان لأمته وللغتها في مواهب قلمه لَقبٌ من ألقاب التاريخ (٢) والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى يهيئ للأديب أسباب التوفيق والنجاح فيما يقصده من معان، التي عبر عنها بقوله: "يروم معنى" أي يطلبه ابتداءً وفيه مناسبة مع قوله: "بنات الفكر" الدال على المُبتكر من المعاني الغريبة، وَعَرَّفَ (الأديب) بـــ "أل" الجنسية ليشمل جنس الأدباء بينما نَكَّرَ المفعول "معنى" لقصد العموم، فرعاية الله متحققة وحاصلة لكل الأدباء كلما راموا أي: معنى، وسعادة الأديب تعقب رومه للمعاني ؛لأنه مشمول برعاية الله وإسناد السعادة إلى البيان، وهو سببها مجاز عقلي . ومن الطبيعي أن يكون الأديب في طلب مستمر للمعاني لذا ناسبه صياغة المضارعة في "يروم" وتجدد سعادة البيان في " يسعده" بعد حصول رعاية الله للأديب لذا جاءت صياغة الأفعال مناسبة للمقام، فكلما رام الأديب معنى من المعاني؛ يسعده البيان لأنه مشمول برعاية

---

(١) وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي- دار الكتب العلمية طـــ١- ١٤٢١هـــ - ٢٠٠٠م ١٩٣/٣.

(٢) المرجع السابق ١٩٨/٣.

الله، وفي البيت ظهور لشخصية الشاعر التي تؤمن بأنه لا فلاح لأمر إلا بتوفيق الله، وتقرير بتلازم العلم والإيمان.

واختلفت طرق تعريف المسند إليه حيث عُرف بالعلمية "اللَّهُ" لقصد استحضاره بعينه – سبحانه وتعالى– في ذهن المخاطب بالاسم المختص به؛ ليتميز عن غيره تمام التمييز فيؤدي إلى إسناد الخبر إليه في صورة هي أكثر قوة، وإذا كان المُعرف لفظة الجلالة أعرف المعارف فهذا يُضفي على المُسند تفخيمًا وتعظيمًا: أي رعاية عظيمة تحققت للأديب لأنها رعاية اللَّهُ.

بينما عُرفَ باسم الموصول "ما" في قوله: "بما أراد" قصدًا إلى تفخيمه، فالمعاني التي يَسعد بها الأديب معانٍ عظيمة! واشتقاقه لفعل المسند من الإرادة يوحي بوقوع المعاني تحت أمر الأديب ومقدرته ومشيئته المطلقة.

وبيانٌ مِنْ شأنه إسعاد الأدباء فيما يرومون من معان يستحق التبجيل والتعظيم يقول:

٤– أُبَجِّلُــهُ وَلَــوْ لَــمْ يَــأْوِ ظِــلاًّ
بَنَــى الْعَــيْشُ الأَنيــقُ بِــهِ وَشَــادا

٥– فَهاتِ السَّيْفَ يَخْطُرُ في مَضــاءٍ
وَخَــلِّ الْغِمْــدَ عِنْــدَكَ والنِّجــادا

يُبرز الشاعر قيمة البيان العربي في نفسه التي وصلت إلى حد التعظيم؛ لما يتسم به من جمال؛ جعله في مرتبة عليا، وإنما آثر

التعبير بالتبجيل؛ لأنه تعظيم فيه إشارة إلى اتصاف المُعَظم بصفات العراقة، والسيادة، والجمال. وكنى الشاعر عن عدم حضور البيان حضورًا حسيًا كوجود المحسوسات بقوله: "ولو لم يأو ظلًا" وهذه المنزلة التي وضعها الشاعر للبيان العربي تثير سؤالًا في نفس السامع لأن يسأل سؤالًا تقديره: ولما هذا القدر من التبجيل؟ فجاء الشطر الثاني ليجيب عن هذا السؤال بقوله: "بَنى العيشُ الأنيقُ به وشادا" مفصولاً عما قبله؛ لشبه كمال الاتصال، وبنى الفعلين "بنى، وشادا" للفاعل، وعليه فإسنادهما إلى "العيشُ الأنيقُ" مجاز عقلي علاقته السببية ، وهنا مندوحة في التعبير بـــ "العيش" دون الحياة وغيرها من الألفاظ الدالة، وهي أن العيش اسم لما هو سبب الحياة من الأكل والشرب وما بسبيل [١] وكأن الشاعر قصد أن البيان أصل الحياة؛ وبدونه موت لا حياة.

ثم ساق الشاعر دليلًا على أن قيمة الشيء تكمن في فائدته، وأثره، وليس جسمه، وحسه فأردف البيت السابق بقوله: فَهاتِ السَّيْفَ يَخْطُرُ في مَضاءٍ ... وَخَلِّ الْغِمْدَ عِنْدَكَ والنِّجادا [٢]

مستعيرًا السيف للبيان العربي لبيان أن هنا تلازمًا في الوجود بين السيف ،وملحقاته من "النجاد، والغمد" ومع هذا التلازم

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري، ت/ محمد إبراهيم سليم – نشر دار العلم والثقافة بالقاهرة ١٠٢/١.

(٢) يخطر: {الخاطر والمتبختر يقال: إذا تبخرت} لسان العرب مادة (خ ط ر).

فإن الأثر، والفائدة تكمن في السيف، وليس في النجاد أو الغمد اللذين استعارهما الشاعر "للظل" والجامع حصول الفائدة والغاية في الشيء دون ما يتصل به، فالفائدة ليست للغمد ولا النجاد بل للسيف الدائم المضاءة والنفاذ، لذا جمع بين متضادين في قوله: "فهات" و"وَخَلّ" ليوحي أن جُّل اهتمامه بما له فائدة وأثر وأمَّا ما لا فائدة منه فَخَلَّهُ أي: اُتْرُكْهُ فظهر بطباق الإيجاب حسن الأول في مقابل الثاني، وجملة "يخطرُ في مضاءٍ" حال من السيف وإسناد الفعل "يخطرُ" إلى ضمير السيف من باب المجاز العقلي بعلاقة المجاورة والمعنى يخطر صاحبه أي يمشي مشيًا متمايلًا مشية المعجب بنفسه وفي يده سيف، وإما أن يكون المجاز في الفعل "يخطرُ" مجازًا لغويًا بأن تُشبه حركة السيف يمينًا ويسارًا عند الضرب بالتبختر، وهذا هو الأولى إذ المقصود وصف السيف المستعار للبيان الذي جمع بينهما لإخراج قيمة الشيء، وأثره في صورة ملموسة، وليس وصف صاحبه، والاستعارة التبعية في الحرف "في" التي جَسَمتْ المضاءة وجعلتها محلًا صالحًا للتبختر أكدت الاستعارة في يخطر فالاستعارة الأولى أثبتت للسيف تبخترًا، والثانية وضحت مكانه. واستطاع الشاعر بهذا البيت بما اشتمل عليه من استعارات أصلية في "السيف، والغمد والنجاد" والتبعية في الفعل "يخطرُ" والحرف "في" والطباق بين "هات" و"خل" استطاع أن يثبت للبيان العربي صولات وجولات في شتى الفنون فلا عجب أن يقدسه الشاعر ويبجله لهذا القدر.

المبحث الثاني
وصف وجده بالآداب والبحث والعربية

ويشتمل على:

الفكرة الأولى: وصف وجده بالآداب والأدباء :

وإذا بلغ البيان عنده مبلغ التبجيل فإنَّ له بالآداب وجدًا يقول:

٦- وَيَنْزَعُ بـــي إلـــى الآدابِ وَجْـــدٌ
إذا قُلْـــتُ اشْـــتَفى بالوَصْـــلِ زادا

٧- فَأَنْسى"مَعْبَداً" وَ"عُرَيْـــبَ" دَهْـــراً
ولا أَنْســـى "الْبَـــديع" ولا "الْعِمـــادا"

٨- وأَسْلوا الرَّوْضَ والوَرْقاءُ تَشْـــدو
بِـــهِ وَالْغَيْـــثُ حـــاكَ لَـــهُ بِجـــادا

٩- ولا أَسْلو الطّروسَ تَـــدورُ فيهـــا
رَحَـــى الْبَحْـــثِ ابْتِكـــاراً وَانْتِقـــادا

١٠- وَلَمْ أَنْضُ الْقَريحَةَ في نَســـيبٍ
وَلا عَـــذْلاً شَـــكَوْتُ وَلا بُعـــادا

يفصح الشاعر عن هوى يغالبه وشوقٍ ينازعه هوى من نوع خاص لا يشبعه وصال، بل يزيده اشتياقًا إنه وصال الآداب. والتعبير بـــ "النزع" [١] الذي تدور مادته حول الاقتلاع، يطبع في

---

(١) نزع: "نَزَع الشيء ينزعه نزعًا ونَزيعٌ وانتزعه فانتزع: اقتلعه، ونازعتني نفسي إلى هواها نزعاً غالبتني، الوجد: "المحبة" لسان العرب مادة (ن ز ع)،(و ج د)

نفوسنا سيطرة هذا الوجد، والهوى عليه وكأنه يقتلعه من الدنيا، وما فيها ليستأثر به بعيدًا عن أى اهتمامات أخرى، وجاء قوله: "بي" تدعيمًا لهذا المعنى فلم يقل: بقلبي ولا بفكري لتوحي بكمال سيطرة الهوى عليه، وتجدُدهُ حينًا بعد حين مما يثير في النفس دهشةً من قوة هذا الوجد! ليتأتى التنكير في "وجد" فيزيل هذه الدهشة لكونه وجد عظيم؛ فلا عجب أن ينتزع الشاعر مما حوله ليستحوذ عليه، ولمَّا كان هذا الهوى ليس كالأهواء المادية فمن الطبيعي ألا يكون على صفتها–من كون الوصال يشبعها– بل يزيده نهمًا وحنينًا، فكان المناسب للمقام الشرط بـــ "إذا" في قوله: "إذا قلت اشتفى" [(١)] للتيقن من وقوع جوابها بقوله: "زادا"، وانظر إلى التعبير بالشفاء، ونسبتها إلى الوجد التي تدل على نقيضها عند بُعده عن الآداب، وهذا الإسناد من قبيل المجاز العقلي الذي علاقته السببية، والمناسبة ظاهرة بين هذا البيت وسابقه، فالأول يتحدث عن الأدباء، وسعادتهم بالبيان، وهذا البيت يتحدث عن الآداب، والوجد بها مع اتفاقها في الخبرية لفظًا ومعنى، لذا حسن الوصل بينهما للتوسط بين الكمالين، وهذا القدر من الهيام بالآداب وسيطرته على قلب وعقل الشاعر، لم يدع في عقله مكانًا لغيره حتى أنسته "معبدًا" و"عريب" [(٢)] وكانا من أهل الغناء والطرب، وامتلكا قدرة على الإمتاع بالفن الذي تميل إليه

---

(١) اشتفى: نال الشفاء لسان العرب مادة (ش ف ى).

(٢) معبد:(١٢٦هـــ) معبد بن وهب، نابغة الغناء العربي في العصر الأموي، نشأ في المدينة، ورحل إلى الشام، واتصل بأمرائها. "عريب": "١٨١–٢٧٧هـــ"عريب المأمونية، شاعرة ومغنية وأديبة، ولدت ببغداد، ونشأت في قصور الخلفاء العباسيين، وقربها الخليفة المأمون حتى نسبت إليه، وتوفيت في سامراء.–ينظر تاريخ دمشق لابن عساكر، ت/عمرو بن عزامة العمروي نشر دار الفكر ١٤١٥هـــ – ١٩٩٥م، والأعلام للزركلي٢٢٧/٤ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحاله ٢٧٩/٦.

النفوس والقلوب؛ ورمز الشاعر إلى أرباب الفنون والغناء بـــــ "معبدًا" و"عريب"، وكنى عن عزوفه عن الغناء بالنسيان، واحترس بقوله: "دهرًا" لئلا يُتوهم تَقيُد هذا النسيان بوقت دون الآخر. ثم نجد في الشطر الثاني إلحاحًا وتأكيدًا على فكرة الشاعر وهي (وجده بالآداب) عن طريق المطابقة بالسلب بين "أنسى معبدًا وعريب"، و"ولا أنسى البديع والعمادا" [1] اللذان رمز بهما إلى الأدباء وكنى بعدم نسيانه عن إقباله عليهما، وإذا استطاع الشاعر تقوية فكرته وتوضيحها، وهي عزوفه عن كل ما يُمتع الأسماع سوى الشِعر وما يشابهه، فقد قرر في البيت التالي عزوفه عما يمتع الأبصار أيضًا.

---

(١) البديع:"٣٥٨-٣٩٨هـــ" بديع الزمان أحمد بن الحسين بن يحيي الهمذاني، أحد أئمة الأدب والشعر، ولد بهمذان، وتوفي في هراة مسمومًا، اشتهر بمقاماته، وله ديوان شعر ورسائل مطبوعة " .راجع وفيات الأعيان لابن خلكان، دار صادر – بيروت ١٩٠٠، ١/١٢٧. ومعجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي ت /إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت ط١- ١٤١٤هـــ- ١٩٩٣ م،١|٢٣٤ ، وتاريخ إربل لابن المستوفي ت/ صامي بن سيد بن خماس الصقاد نشر دار الثقافة – دار الرشيد ١٩٨٠م ،٢/٦٦. "العماد": ١٢٢٥- ١٢٠٠م عماد الدين الكاتب، مؤرخ وكاتب كبير ولد في أصفهان وعاش وتوفى بدمشق وله مؤلفات مطبوعة راجع وفيات الأعيان١٤٧، والأعلام للزركلي ٧|٢٦.

الفكرة الثانية: وجده بالبحث ابتكارًا وانتقادًا :

٨- وأَسْلـــــــــوا الرَّوْضَ والوَرْقاءُ

بِهِ وَالْغَيْـثُ حــاكَ لَــهُ بِجــادا (١)

٩- ولا أَسْلو الطُّروسَ تَــدورُ فيهــا

رَحَـــى الْبَحْـــثِ ابْتِكـــاراً وَانْتِقـــادا

صورة الروض وقد تعددت به ألوان الزهور والنباتات وبينها تشدو الورقاء من الصور الجميلة التي تروح عن النفس وتجدد نشاطها؛ ولكنها ليست نفس شاعرنا التي جُبلت على حب البحث والنقد، وهما سلوته ومنية نفسه. فاستطاع الشاعر أن يرسم لنا صورًا فنية رائعة لمنظر الروض، نستحضر فيها صورة الورقاء وهي تردد نغماتها بين الزهور عن طريق الاستعارة في "تشدو"، و"حاك" فالروض جميل وممتع لكن طروس الشاعر أمتع، وشدو الورقاء طروب، لكن صوت رحى البحث أطرب لذا فهو لا يسلوهما.

وتصوير الطروس بصورة الظرف الحقيقي للبحث على سبيل التبعية يوحي بامتلاء جوانب الطروس بالبحث الذي شبهه بالرحى عن طريق الإضافة بجامع الدوران الحقيقي في "الرحى" والمتخيل في البحث الذي دار حول الابتكار والانتقاد، ومع حبه للأدب نثرًا وشعرًا لم يُجهد قريحته في الغزل، ولم تكن شكواه

---

(١) حاك: حاك الثوب: "نسجه " لسان العرب مادة "ح و ك".بجادا: كساء مخطط من أكيسة العرب يشتملون به لسان العرب مادة " ب ج د ".

مقصورة على البعد واللوم يقول:

١٠- وَلَمْ أَنْضُ الْقَريحَةَ في نسَـيب

وَلا عَـذْلاً شَـكَوْتُ وَلا بُعـادا [١]

استعار "أنضُ" لأجهد على طريق التبعية لتجسيمه، وتقديم المفعول "عذلًا" على الفعل "شكوت" المنفي لإفادة الاهتمام، والمعنى لم يكن مهتمًا بشكوى العذل ولا البُعاد وإنما جل اهتمامه العربية لذاتها، عربية العرب الخُلصّ؛

الفكرة الثالثة: وجده بالفصحى :

١١- فَما أَهْوَى سِوى لُغَـةٍ سَـقاها

قُـرَيْشٌ مِـنْ بَـراعَتِهِمْ شِـهادا

١٢- أداروا مِنْ سَلاسَـتِها رَحيقـاً

وهَـزُّوا مِـنْ جَزالَتِهـا صِـعادا

حب لغة لهذه الغاية مما قد يستعظمه سامع لذا آثر الشاعر طريق النفي والاستثناء في قوله: "فمأهوى سوى لغة "استطاع به إفراغ هذه الحقيقة في قالب متين تقريرًا لها في النفوس[٢]

---

(١) نضا: نضا السيف: أخرجه من غُمده، أنضيت الثوب: أخلقتُه وأبليته] اللسان مادة " ن ض ا ".، القريحة: طبيعة الإنسان التي جُبل عليها] اللسان مادة: "ق ر ح ".

(٢) دلالات التراكيب لأبي موسى، مكتبة وهبه الطبعة الرابعة١٤٢٩- ٢٠٠٨م صـ١١٨.

وبالإضافة إلى أسلوب القصر بـــ " النفي، والاستثناء" وصفها بقوله: "سقاها قريش من براعتهم شهادا" [١]والمعنى أنَّ هذه اللغة تميزت بالجمال والعذوبة، والحلاوة؛ لأنها تشربت شهدًا من براعة قريش، فلا عجب أن تتصف بالعذوبة وفيه تشبيهٌ ضمنيٌ للغة بالشهد وإنما خص الشهد، ولم يقل عسلًا؛ لأن الشهد هو العسل الخالص؛ الذي لم يخالطه شيء آخر وهو مناسب للسياق، فالساقي عرب خلص وبراعتهم مطبوعة لا يشوبها أي لحن؛ ثم وصف اللغة بالسلاسة والجزالة في قوله:

١٢- أداروا مِنْ سَلاسَـــتِها رَحيقـــاً

وهَزُّوا مِـــنْ جَزالَتِهـــا صِـــعادا [٢]

تناسبًا مع ذكر الشهد، شبهها في هذا البيت بالرحيق في السلاسة، وهي سلاسة في غير ضعف بل هي في قوتها تشبه "الصعاد" وهي آلة حرب أصغر من الحربة. هذه هي حالة اللغة العربية الفصحى قبل إشراق الإسلام، فما ظنك بلغة جميلة زادها الإسلام جمالًا بنزول القرآن الكريم بها.

---

(١) شهادًا:جمع الشهد وهو العسل ما دام لم يعصر من شمعه"لسان العرب مادة "ش ه د ".

(٢) السلاسة: الرقة والإنسجام، الرحيق: صفوة الخمر، الجزالة: الفصاحة والمتانة، الصعادا: واحدها صعدة وهي القناة المستوية لسان العرب مادة: "س ل س"،"ر ح ق "،"ج ز ل "،"ص ع د". على الترتيب.

المبحث الثالث

فضل الذكر الحكيم في تمجيد العربية

وفضل العربية على كل أرض وعلم.

الفكرة الأولى: القرآن الكريم سبب مجد العربية :

١٣- وطَوَّقَهـــا كِتـــابُ اللهِ مَجْـــدًا

وَزادَ سَـــنا بَلاغَتِهـــا اتِّقـــادا(١)

١٤- تَصيدُ بِسَـــحْرِ مَنْطِقِهـــا قُلوبًـــا

تُحـــاذِرُ كالجَـــآذِرِ أَنْ تُصـــادا

١٥- قَنَتْ حِكَماً رَوائِعَ لَوْ أَعـــارَتْ

سَـــناها النَّـــارَ لَـــمْ تَلِـــدِ الرَّمـــادا

يقول إنها لغة مجيدة وسبب مجدها نزول القرآن الكريم بها وهو مجد عظيم شمل ألفاظها ومعانيها وتراكيبها فهو كالطوق الذي يتخذ للزينة من الألماس والجواهر الثمينة، وإسناد الفعل "طوَّقَ" و"زاد" لكتاب اللهﷻ مجاز عقلي علاقته السببية، والتعريف في "كتاب اللهﷻ" لتعظيم غير المضاف والمضاف إليه إذ العظمة متحققة فيهما، وإنما القصد لتعظيم "المجد" وفي تنكير "مجدًا" تأكيد لهذا التعظيم الحاصل بالإضافة.

---

(١) الطوق: حلى تجعل في العنق، وكل شيء استدار فهو مطوق" لسان العرب مادة "ط وق" .

وفي "سنا بلاغتها" تشبيه بالإضافة شبه فيه البلاغة بسنا النار التي زادها "كتاب اللهﷻ" اتقادًا ويمكن حمله على المكنية بتشبيه البلاغة بالنار، والبرق بجامع الإضاءة الحسية في المشبه، والمعنوية في المشبه به، ومن المكنية إلى التبعية في قوله :

١٤- تَصيدُ بِسَــحْرِ مَنْطِقِهــا قُلوبًــا

تُحاذِرُ كالجَآذِرِ أَنْ تُصادا (١)

استعار فيها "الصيد" لاستمالة القلوب، بجامع الإذعان والسيطرة في كل، وإنما خص القلب لأنه موضع المشاعر التي تنطبع آثارها على الإنسان، وتعبيرًا عن الكل باسم جزئه الأهم، والأنسب للمقام على طريق المجاز المرسل، وإبرازًا لمدى تأثير هذا السحر على القلوب شبهها بالجآذر بجامع توخي الحيطة والحذر، فالقلوب على أصنافها، وأنواعها لا تستطيع الوقاية من هذا السحر لذا نكَّرَ "قلوبًا" لإفادة العموم، وفي " تصادا " في آخر البيت رد للعجز على الصدر أحدث موسيقى رنانة فيه، وانظر إلى المفارقة في صياغة الأفعال في البيت السابق، وهذا البيت تحقيقًا لحصول مجد الفصحى، وشرفها بنزول القرآن. وضح ذلك من صياغة الأفعال على صياغة الماضي في "طوقها" و"زادا"، بينما صيغت على المضارعة عند الحديث عن تأثير منطق اللغة في

(١) الجآذر: الجؤذر والجوذر: ولد البقرة الوحشية" لسان العرب مادة "ج ذ ر".

" تصيد، تحاذر" فهو تأثير متجدد بتجدد الزمان غير منتهي، كما أنه تأثير قوي يشبه السحر وجاء قوله: "تحاذر أن تصادا" تأكيدًا لهذا حيث توحي العبارة بحالة التأهب والحذر من قوة هذا السحر الذي لا طاقة للنفوس به. ثم تخلص الشاعر من وصف معاني الفصحى بالسلاسة، والجزالة وألفاظها بالقوة تخلص إلى وصف "حِكمها" الرائعة في قوله :

١٥- قَنَتْ حِكَماً رَوائِعَ لَوْ أَعــارَتْ

سَــناها النَّــارَ لَــمْ تَلِــدِ الرَّمــادا

حِكَم العربية روائع يفوق سناها سنا النار لو استعارته النار لخرجت عن طبعها، ولم تنطفئ جذوتها مهما طال اتقادها به، والبيت بما اشتمل عليه من تشبيه، واستعارة، وكناية في غاية الروعة، فشبه سنا حكم العربية بسنا النار بجامع الاهتداء في كل ثم جعلها شخصًا في" أعارت" حيث أثبت للعربية "الإعارة" مسبوقة بـــــ "لو" الدالة على الامتناع أي: لم تُعِيرها شيئًا منه بل تحتفظ به لنفسها وكونها المُعِيرة يدل على قوة سناها عن سنا النار، وكنى عن دوام اشتعال النار بـــ " لم تلد الرمادا " وفي التعبير بالولادة الذي هو في الأصل لإنتاج الرماد بعد انتهاء الاتقاد دلالة على طول فترة الاتقاد التي قد تبلغ شهورًا، ومع ذلك لا تلده، وإنما خص "الحِكَم" إذ تعطيك خلاصة تجربة الأحداث والأشخاص في عبارات موجزة رنانة تستطيع الاهتداء بها قبل مواجهة العواقب. وهذا

أعظم هداية للإنسان من هداية النار، ولذا نُكرت "حكمًا" للتعظيم. ويحتمل أيضًا للتكثير. ثم يقرر حقيقة أخرى عن اللغة العربية الفصحى، وهي عموم خيرها، وفضلها على كل العوالم.

الفكرة الثانية: فضل العربية على كل أرض :

١٦- سَرَتْ كالمُزْنِ يُحْيي كُلَّ أَرْضٍ

ويُبْهِجُهـــا وِهـــاداً أَوْ نِجـــادا (١)

١٧- وَما لِلَّهْجَـــةِ الْفُصْـــحى فَخـــارٌ

إذا لَـــمْ تَمْـــلإِ الـــدُّنْيا رَشَـــادا

وكأنه يصور كيفية انطلاق الفصحى المجيدة –بنزول القرآن– من موطن نزوله إلى كل العالم، فبثت فيه الحياة، والرشاد، وزينته بالبهجة، وهذا هو مصدر فخرها. وشبهت اللغة العربية هنا بـــ "المزن" بجامع الإحياء والبهجة المتخيلة في الطرفين مع إسناد الفعلين "يحيي، يبهج" إلى "المزن" وهو سببه مجازًا عقليًا، فتأثير الفصحى على العالم تأثيرًا شديد السرعة بدليل الفعل "سرت" وبتخير "المزن" الذي فيه معنى الإسراع دون غيرها مثل "السحاب". كما أنه تأثير شامل استقصى جميع الأراضي بدليل الجمع بالتضاد بين "وهادا، نجادا" كما دل التشبيه أيضًا على ظهور

---

(١) المُزنٌ: " السحاب عامة وقيل سحاب ذو ماء، وأصله المَزْنُ: أي الإسراع " لسان العرب مادة (م ز ن) الوهاد: هي "الهوى في الأرض، والنجاد: ما ارتفع من الأرض واستوى لسان العرب مادة "و هـ د" .

الأثر، واستمراره في "يحيي" الذي دل على الإحياء بعد الموت مجازًا، و"يبهج" التي تدل على وجوده في حالة مناقضة قبل وصول الفصحى إليها، وتأثير سريع وعام شامل مع دوام أثره، وكفايته من شأنه أن" يملأ الدنيا رشاد" وهذا هو مصدر فخر العربية، لذا فلا عجب أن يشمل تأثيرها غير العرب الذين راعهم جمال فصاحة العربية.

الفكرة الثالثة: أثر العربية على غير العرب :

١٨- وراعَ حِلـــى الْفَصـــاحَةِ غَيْـــرَ
فَحَثُّـــوا مِـــنْ قَـــرائِحِهِمْ جِيـــادا

١٩- تَخوضُ بَيانَها الْفَيَّـــاضَ طَلْقًـــا
وكانَـــتْ قَبْلَـــهُ تَـــرِدُ الثِّمـــادا

٢٠- وكَم ضاهى"ابْنُ فـــارِس"وَهـــو
زِنـــادَ الشِّـــعْرِ وائِـــلَ أو إِيَـــادا

٢١- أَتاها الْعِلْمُ يَرْسُفُ فـــي كَســـادٍ
وخَطْـــبُ الْعِلْـــمِ أنْ يَلْقـــى كَســـادا

٢٢- فَأَلْفى مـــنْ مَعاجِمِهـــا عُبابـــاً
غَزيـــرَ النَّبْـــعِ لا يَخْشـــى نَفـــادا

٢٣- فَأَوْدَعَهـــا نَفائِسَـــهُ وأَضْـــحى
شِـــعارُ الْعِلْـــمِ إِعْرابـــاً وَضـــادا

يفصح الشاعر في هذه الأبيات عن مدى تأثير فصاحة العربية على غير العرب الذي بلغ حد الروع من شدة جمالها وقوتها، حتى استنهضوا قرائحهم لتجيد بأحسن ما عندها، ولقصد المبالغة في استنهاضهم لقرائحهم انتزعوا منها جيادًا تخوض الفياض من البيان العربي بعد أن كانت قبله ترد الثماد، وإظهارًا للمفارقة بين ما أصبحت عليه قرائحهم وما كانت عليه جمع بين "الفياض" و"الثماد" في قوله:

١٨–وراعَ حِلى الْفَصاحَةِ غَيْرَ عُرْبٍ
فَحَثُّــوا مِــنْ قَــرائِحِهِمْ جِيــادا

١٩– تَخوضُ بَيانَها الْفَيَّــاضَ طَلْقًــا
وكانَــتْ قَبْلَــهُ تَــرِدُ الثِّمــادا (١)

وانظر إلى جمال الصورة التي رسمها الشاعر لحالة غير العرب عندما بلغ إعجابهم بفصاحة العربية إلى حد "الروع" فأغبطوا العرب وراحوا يستحثوا قرائحهم التي انتزعوا منها "جيادًا" على سبيل التجريد؛ لأنها الأسرع فيما يستحث عند طلب السرعة؛ وقد كان ما أَمِلوا فالجياد تخوض، وتخوض الفياض الطلق من البيان، وعبر بها للدلالة على غزارة البيان العربي غزارة شديدة مع سلاسته، وكنى بقوله: "وكانت قبله ترد الثماد" عن ضعف قرائحهم لضعف في لغتهم فصاحةً وبيانًا، وبدء البيت بفعل "الروع" في

(١) الثماد: الماء القليل الذي لا مادّ له لسان العرب مادة " ث م د " .

"راع" وإسناده إلى "حلى الفصاحة" على طريق المجاز العقلي لإبرازها في صورة السبب الرئيس، وكأنها الفاعل الحقيقي لـ "راع" ومن المتأثرين بفصاحة العربية من غير العرب ابن فارس يقول الشاعر:

٢٠- وكَم ضاهى"ابْنُ فارِس"وَهو يُوري
زِنـــادَ الشِّـــعْرِ وائِـــلَ أو إِيَـــادا

٢١- أَتاها الْعِلْمُ يَرْسُـفُ فـــي كَســـادٍ
وخَطْـــبُ الْعِلْـــمِ أنْ يَلْقـــى كَســـادا

٢٢- فَـــأَلْفى مِـــنْ مَعاجِمِهـــا عُبابًـــا
غَزيـــرَ النَّبْـــعِ لا يَخْشـــى نَفـــادا

٢٣- فَأَوْدَعَهـــا نَفائِسَـــهُ وأَضْـــحى
شِـــعارُ الْعِلْـــمِ إِعْرابًـــا وَضـــادًا

" ابن فارس" كان رأسًا في الأدب، جامعًا بين إتقان العلم وظرف أهل الكتابة والشعر(١) وكان من أكثر المضاهين لشعر وائل

(١) ابن فارس: هو أبو الحسن أحمد بن زكريا القزويني، إمام لغة وأديب، مختلف في تعيين وطنه، وأكثر العلماء على أن أهله من قزوين، وتوفي بالري وإليها نسبته عام ٣٩٥-١٠٠٤م] سير أعلام النبلاء للذهبي ت/مجموعة من المحققين بإشراف الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – ط٣ ١٤٠٥- ١٩٨٥-٧|١٠٣.

وإياد [١] حين رام قرض الشعر و"كم" في قوله: "كم ضاهى" خبرية قصد بها التكثير، وقوله: "وهو يوري زناد الشعر" [٢] مثل يقال لمن رام أمرًا فأدركه، وأصل هذا المثل استعماله في الكرم، والصفات المحمودة، فالزند والزندة خشبتان تستقدح بهما النار ليستعر لهيبها من أجل الشواء والطبخ، وأضافه للشعر في قوله: "زناد الشعر" للدلالة على شدة استنهاضه لقريحته عندما رام قرض الشعر مضاهيًا لوائل وإياد، وهما من القبائل العربية، ولم يقتصر تأثير الفصحى على غير العرب في قرض الشعر بل أدلى بدلوه في شتى فروع العلم الذي كان محدودًا كاسدًا يقول:

٢١- أَتاها الْعِلْمُ يَرْسُفُ فـــي كَســـادٍ

وخَطْبُ الْعِلْـــمِ أنْ يَلْقـــى كَســـادا [٣]

خاتمًا الشطر الأول بلفظة "كساد" والشطر الثانى به أيضًا ردًا للعجز على الصدر مما كان له أثره في تأكيد المعنى المراد إبرازه وإضفاء نغمات موسيقية على البيت، وتجسيمًا لهذا الكساد استعار له "يرسف" وهو مشي المقيد ،لإبرازه في صورة محسوسة،

---

(١) "وائل" قبيلة عربية، بطن من ربيعة نزاز من العدنانية، وأشهر فروعها بكر، تغلب، و"إياد" قبيلة عربية، من معد بن عدنان.

(٢) لسان العرب مادة "ز ن د ".

(٣) يرسف: الرَّسف، والرِّسف والرّسفان: مشى مشي المقيد لسان العرب مادة "ر س ف ".

وهذا هو الحال في أي علم يفتقد للغة ذات أسلوب معبر تصاغ به العلوم الجامدة، وقواعدها المعقدة إلا أنه وجد في العربية بحرًا غزير النبع يقول:

٢٢- فَأَلْفى مِــنْ مَعاجِمِهــا عُبابًــا

غَزيــرَ النَّبْــعِ لا يَخْشــى نَفــادا (١)

مستعيرًا "العباب" على سبيل الأصلية لمفردات اللغة إذ ما في المعاجم ملايين المواد ثم وصف العباب بأنه غزير النبع، وحتى لا يتوهم أنه قابل للنفاد احترس بقوله "لا يخشى نفاده" لدفع هذا الوهم، فهو مع غزارته لا يخشى عليه نفادًا، وهذا يؤكد دلالة "من" التبعيضية في "من معاجمه" فالقليل من المعاجم العربية يعد عُبابًا، وبه ارتقت هذه العلوم، وأضحى شعار العلم في هذه البلاد "الضاد" الذي رمز به إلى العربية، وعلومها من نحو وصرف وإنما خص الضاد؛ لأن "الإعراب" هو ميزة اللسان العربي في المركبات و"الضاد" هي ميزة اللسان العربي في المفردات وبعدما رصد الشاعر تأثير الفصحى على العرب وغير العرب والتي أحيت كل أرض وأبهجتها يصرح بأنه لا عذير عنده لمن يجني على الفصحى حتى لو كان الجاني الزمان .

(١) العُباب: المطر الكثير" لسان العرب مادة "ع ب ب "

المبحث الرابع
اجتناء الزمان على الفصحى وفضل القرآن الكريم ومصر في بقائها

الفكرة الأولى: اجتناء الزمان على الفصحى :

٢٤- عَذيري مِنْ زَمانٍ ظَلَّ يَجْنِـــي
عَلى الْفُصْحى ليُرْهِقَهــا فَســـادا (١)

٢٥- حَثا في رَوْضِها الزَّاهي قَتامًـــا
وَأَنْبَـــتَ بَـــيْنَ أَزْهُرِهـــا قَتـــادا (٢)

المعنى من عذيري في شأن هذا الزمان أي من نصيري منه، فقد جنى على الفصحى ليرهقها فسادًا وفيه إيجاز بحذف المبتدأ ثم فصل هذا الاجتناء بقوله: "حثا في روضها" أي غبَّر روضَهَا الزاهي بالغُبَار الأسودِ، وزرع الشوك بين أزهرها، والمعنى: من يأتي لي بعذر في اجتناء الزمان وهو على التعجيز أي: لا يمكن لأحد أن يجد له عُذرًا فيما فعل وإسناد الأفعال: "يجني، يرهق، حثا، وأنبت" إلى الزمان مجاز عقلي علاقته الزمانية، والضمير في "روضها" يعود على الفصحى، وفيه تشبيه

---

(١) العذير: العاذر والنصير، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ت/ عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان طـــ ١١٤٢١ هـــ - ٢٠٠٠م مادة "ع ذ ر"

(٢) حثا: رمى، القتام : الغبار الأسود، القتاد: نبات صلب له شوك يخرج القمع ويطلق عليه الصعب المنال لسان العرب مادة " ج ث ا، ق ت م، ق ت د".

للفصحى بالروضة وبالأزهار وفي البيتين جمع بين إيجاز وإطناب، حيث أوجز بحذف "من" في قوله: "عذيري" وهو مناسب لنفس الشاعر الضائقة من فعل الزمان الذي أجمله بقوله: "يجني" ثم فصله بقوله: "حثا في روضها قتاما"، و"أنبت بين أزهرها قتادا" تأكيد لاجتنائه، وتعدد إسناد الأفعال للزمان على سبيل المجاز يمثل استجابة للحس، وانطلاق لمنطق العقل مع الخيال وتصوراته وتأنقًا في أداء المعاني (١) كما دل على حسِ الشاعر المرهف، وقوةِ بلاغته إذ ألمح بالمجاز إلى كثرة الأزمنة التي اجتنى فيها على العربية، حتى ساغ له أن يجعله فاعلًا له. وهكذا دافع الشيخ عن العربية طيلة حياته، وهناك مدافع لا يَفنَى، عجز الجهابذةُ أمامَ دفاعِهِ في كل زمانٍ ومكانٍ، إنه دستورُ الحياةِ القرآنُ الكريمُ.

الفكرة الثانية: فضل القرآن الكريم في بقائها :

٢٦- ولَوْلا أَنَّ هــذا الــذِّكرَ يُتْلــى

لَــــرَدَّ بَيــــاضَ غُرَّتهــــا سَــــوادا

المعنى لقد طبع الذكرُ الحكيمُ وتلاوتُهُ الفصحىَ بصفتِهِ، وهي سرمدية البقاء فمتى حاول الزمان رَدَّ بياضِ غرتها سوادًا، عجز عن ذلك لتعليق ذلك بتلاوة القرآن المتجددة في "يتلى" الذي صيغ على المضارعة و" لولا " التي ربط بها امتناع الثانية بوجود الأولى (٢) وعرَفَّ القرآن الكريم بـــ "اللام" "العهدية" بعد تعريفه

---

(١) راجع خصائص التراكيب لأبي موسى. مكتبة وهبة، ط ٧، بتصرف ص ١٠١.

(٢) راجع المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشمولة بـــــ "شرح الشواهد الكبرى " .

باسم الإشارة في قوله: "هذا الذكر" لتميزه أكمل تميز، لصحة إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة إليه حسًا قصدًا إلى تعظيمه، واللام في "لَردَّ" واقعة في جواب "لولا" وإظهارًا للمفارقة بين ما يرمي إليه الزمان بالفصحى وما هي كائنة عليه أتى الشاعر بمعنى" السواد والبياض" على سبيل التطابق ، بعد أن أثبت لها غرة كالأحياء على سبيل المكنية وفيه إشارة إلى أن الفصحى حية الاستعمال وحية الوجود. وهي تجيل طرفها في الوديان لتجد مستقرها الذي وجدته في مصر.

الفكرة الثالثة: فضل مصر في بقائها :

يقول الشاعر:

٢٧- أَجالَتْ طَرْفَهـا فـي كُـلِّ وادٍ

فَلَمْ ترَ في سِـوى مَصْرٍ مَرادا (١)

٢٨- فَتِلْكَ مَعاهِـدُ الْعِرْفـانِ تُـدْني

إلَـيْهِمْ خَيْـرَ مـا يَبْغـونَ زادا

٢٩- وهـذا مَجْمـعٌ يَحْمـي تِـلاداً

ويَبْنـي طارِفـاً يَحْكـي الـتِّلادا

٣٠- كَأَنَّ عُكاظَ عادَ بِهـا اشْـتِياقٌ

إلى الْفُصْـحى فَكـانَ لَهـا مَعـادا

---

(١) جال في الحرب جولة، وجال في التطواف يجول جوالًا وجولانًا وجؤولًا، لسان العرب

مادة "ج و ل".

٣١- جَرى مـــاءُ الحَيـــاةِ بِوَجْنَتَيْهـــا
فَهَنَّأْنـــــا الْيَراعَـــــةَ والمِـــــدادا

٣٢- وَقُلْنـــــا لِلْمَنـــــابِرِ: ذَكِّرينـــــا
عَلِيـــاً حـــينَ يَخْطُـــبُ أوْ زِيـــادا

٣٣- فَيَا لُغَةَ النَّبِـــيِّ سَـــقاكِ عهْـــدٌ
مِـــنَ الإِصْـــلاحِ يَنْـــتَظِمُ الْـــبِلادا

٣٤- فَمـــا مِـــنْ حاجَـــةٍ لِلْعِلْـــمِ إلاَّ
يُقـــيمُ لَهـــا بِحِكْمَتـــهِ سِـــدادا

٣٥- يَصـــونُ هِدايَـــةَ اللهِ اعْتِـــزازاً
بِهـــا وَأَضـــاعَها قَـــوْمٌ عِنـــادا

٣٦- تَراءى الزَّيْغُ يَنْفُضُ مِذْرَوَيْـــهِ
ويَمْسَـــحُ عَـــنْ لَوَاحِظِـــهِ رُقـــادا

٣٧- وَمَنْ يَصُنِ الهُدى مُلِـــتْ يَـــداهُ
نَجـــاحاً كلَّمـــا اسْـــتَوْرى زِنـــادا

طافت العربية الفصحى جميع البلاد تبحث عن مرادها الذي أدركته في مصر حيث المعاهد التي تقرب زاد العلم لمن يبغيه، ومجمع اللغة العربية الجامع والحامي لموروثاتها ومستحدثاتها ترى هنا في الأبيات العربية شاخصة عاقلة تتخير لنفسها موطنًا يرعاها من خلال "أجالت، طرفها، ترد" وحتى تدقق في اختيارها وضعت

كل الوديان في كفة الميزان مستعرضة ميزات كل واد على حده، لترجح عندها كفة مصر بهذا التعبير الفريد في الإثارة بقوله: "فلم تر في سوى مصر مرادا" الذي نفى به الشاعر قصر مراد اللغة عن غير مصر، مما يستوجب قصر إرادتها على مصر، ولعله آثر هذه الصياغة تصريحًا للمنفي عنهم أي الوديان بخلاف أسلوب القصر الصريح بالنفي والاستثناء الذي يرتكز على إثبات الأمر مع إشارة إلى نفيه عما عداه ضروة ، ثم بدأ الشاعر يفصل ما اشتملت عليه مصر دون غيرها مما يبين سبب تخيرها لمصر فيقول:

٢٨- فَتِلْكَ مَعاهِــدُ الْعِرْفــانِ تُــدْني

إلَـــيْهِمْ خَيْـــرَ مـــا يَبْغـــونَ زادا

معرفًا المعاهد باسم الإشارة للبعيد في " تلك " [(١)] ولعل السر في الإشارة إليها لتميزها أكمل تميز مما جعلها سببًا في تخير "مصر" موطنًا للفصحى. أمَّا كون الإشارة للبعيد فلمناسبتها لبعد الشاعر عنها حيث ألقيت القصيدة في مجمع اللغة العربية، ولهذا أشير إلى "المعاهد" باسم الإشارة للبعيد، بخلاف مجمع اللغة العربية، ثم أضاف المعاهد إلى المعرف بـــ الـــــ " العرفان" قصدًا لتعظيم شأن هذه المعاهد. وإبرازًا للمسند إليه في صورة المعطاء

---

(١) راجع ارتشان الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي، ت/رجب عثمان محمد، مراجعة رمضان عبدالتواب، نشر مكتبة الخانجي بالقاهره طـــ١ ١٤١٨هـــ- ١٩٩٨م -٢/٩٧٥.

الذي يداوم على تقريب الخير ممن يبغيه صاغ المسند في "يدني الخير" على المضارعة مع كون عطائه عظيمًا بدليل تنكير "خير"، كما صيغت جملة الصلة على المضارعة في "ما يبغون" للدلالة على تجدد عطاء اللغة العربية مع تجدد طلب خيرها، وإذا عُرفت "المعاهد" باسم الإشارة البعيدة فقد عُرف المجمع اللغوي باسم الإشارة للقريب في قوله:

٢٩- وهــذا مَجْمــعٌ يَحْمــي تِــلاداً

ويَبْنــي طارِفــاً يَحْكــي الــتِّلادا [١]

حيث كان الشاعر في مجمع اللغة العربية حين ألقى قصيدة فضل اللغة العربية – موضع الدراسة – فناسب الإشارة إليه بـــــ" هذا "، بالإضافة إلى تمييز المشار إليه أكمل تمييز باستحضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة إليه حسًا لكون المقام مقام مدح حتى يكون مدحه في الأذهان كالنار على علم، ويظهر نعت المشار إليه عند الناس كظهور البدر بلا غيم، وإنما أفاد اسم الإشارة أكمل تميز لتنزيله في المحسوس الذي أصله أن يستعمل فيه منزلة وضع اليد" [٢] وصاغ المسند على المضارعة "يحيي

---

(١) التالد: المال القديم الأصلي الذي ولد عندك، الطارف: نقيضه أي المال المستحدث، لسان العرب مادة: "ت ل د"، و"ط ر ف".

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ١/٣١٤.

تلادا" وعطف عليه قوله: "ويبني طارفًا" للدلالة على أنَّ حمايته لموروثات الفصحى وبناءَهُ للمستحدثات متجددٌ لا يتوقف. وجمع بين " التالد، والطارف" على الطباق لإظهار كل منهما بالآخر وتأكيدًا على شمول تعهد المجمع لمورثات الآباء في العصور السابقة. مما يخصُّ العربية وعلومها ومستحدثات الأبناء التي يقصد بها ما استُحدث من علوم، ومؤلفات في العصر الحديث، ولعل تخير هذه الصفات "التالد، الطارف" دون غيرهما من الصفات التي تدل على القديم والحديث؛ لأنَّ هاتين الصفتين اختصا بالمال، ففيه دلالةٌ على أنَّ التراث العربي القديم والمستحدثات العلمية لها قيمة النفائس من الكنوز والمال. وحتى يدفع الشاعر وهم أن المستحدثات العلمية أو العلوم الحديثة ليست غنية كالتراث العربي الأول جاء بالتشبيه في قوله: "ويبني طارفًا يحكي التلادا" حيث شبه العلوم الحديثة بالعلوم القديمة تشبيهًا مرسلًا مجملًا ليطلق للنفس العنان في تخيل أوجه الشبه بين التالد، والطارف مما يزيد من قيمته وقيمة الحفاظ عليه، فضلًا عن العموم الذي دل عليه تنكير المفعول في "تلادًا" و"طارفًا" و في البيت لون بديعى آخر وهو رد العجز على الصدر جاء من تكرار لفظة "التالد" في شطري البيت تآذر مع الطباق في التأكيد، وأحدث رد العجز على الصدر نغمًا وإيقاعًا صوتيًا جميلًا استطاع الشاعر به أن يقرر المعنى ويؤكده. هذا مجمع اللغة العربية في مصر دائم الحماية لجميع المورثات العلمية العربية،

ودائم البناء لكل حديث أيضًا، ومكان شأنه هكذا يجعله شبيهًا بسوق عكاظ يقول الشاعر:

٣٠- كَأَنَّ عُكاظَ عادَ بِهـــا اشْـــتِياقٌ
إلى الْفُصْـــحى فَكـــانَ لَهـــا مَعـــادا

٣١- جَرى مـــاءُ الحَيـــاةِ بِوَجْنَتَيْهـــا
فَهَنَّأْنـــــا الْيَراعَـــــةَ والمِـــــدادا (١)

سوق عكاظ الذي كان منتدى يقصده العالم للتباري، واستعراض قوة اللسان، وفصاحته قد تجسم في مجمع اللغة العربية بمصر، وكان له معادًا، ولئن تساءلت كيف كان لها معادًا لأجبت "جرى ماء الحياة بوجنتيها" الذي كنى به النضارة والجمال، ووجود الحياة وأثبت لها "وجنتين" تشبيهًا لها بالحسناء التي تشع حياةً وجمالًا على سبيل المكنية، عَوْدُ عكاظ المنتدى العلمي والأدبي الذي سبق ميلاده ميلاد الإسلام عودًا قويًا كعصوره الذهبية لا شك أنه يبهج وخصوصًا اليراع والمداد مما استدعى ذلك تقديم التهنئة إليهما بعد أن شملها البعث والمعاد على سبيل المكنية أيضًا، بل بث الشاعر الحياة في كل مكان يرعى اللغة وفصاحتها باستعاراته في قوله :

---

(١) اليراعة: القلم يتخذ من القصب، المداد: ما يكتب به لسان العرب مادة " م د د ".

٣٢- وَقُلْنـــا لِلْمَنـــابِرِ: ذَكِّرينـــا
عَلِيـــاً حـــينَ يَخْطُـــبُ أوْ زِيـــادا (١)

يخاطب المنابر على سبيل المكنية متمنيًا أن تذكره بخطب الإمام علِّى ﷺ و"زياد" التي ازدنت بلغة القرآن والنبيﷺ وخروج الأمر إلى المعنى المجازي التخيير فيه دلالةٌ على تقارب خطب الإمام علي – كرم الله وجهه – وخطب زياد في القوة والبلاغة التي مصدرها صياغتهما بالعربية، ثم ناداها بقوله :

٣٣- فَيَا لُغَةَ النَّبِـــيِّ سَـــقاكِ عهْـــدٌ
مِـــنَ الإِصْـــلاحِ يَنْـــتَظِمُ الْـــبِلادا

(١) (علِّي) :٢٣هـ –٤٠هـ أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، ابن عم النبي (ﷺ) وصهره وأحد الأبطال والخطباء والعلماء بالقضاء ولد بمكة وقتل بالكوفة" راجع الأعلام للزركلي٣/٥٣، ومائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ لجهاد التربانى– تقديم الشيخ محمد بن عبد الملك الزغبي، نشردار التقوى القاهرة مصر ط١ ١٤٢١ هـ – ٢٠١٠م –١٩٦١ وما بعده. (زياد): زياد بن أبيه، أمير من الدهاة والقادة الفاتحين، ولد في الطائف، وولاه معاوية البصرة والكوفة وسائر العراق حتى توفى. راجع الأعلام٥٣،ومرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لأبي محمد اليافعي وضع حواشيه خليل المنصور – دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م،٢١٨/١.

وإنما نادى اللغة وهي مما لا يتأتى منه الإقبال حسًا إظهارًا لوجود روابط نفسية تربطه بها من الحب والعناية، وهي جديرة بهذا فهي لغة النبي (ﷺ) العظيمة الشريفة التي استقت ذلك من عِظَم وشرف النبي (ﷺ) وهذا سر إضافتها بقوله: "لغة النبي"، وتنزيلًا لبعد المكانة والمنزلة منزلة بعد المكان ناداها بالياء المختصة بنداء البعيد وتنبيهًا على عظم الأمر بعد حرف النداء، والمراد بالعهد في قوله: "سقاك عهْد" إما معنى معنوي وهو "الأمان والحفظ" [١] وعليه يكون مراد الشاعر بـــ "سقاك" معنى العموم والإحاطة والشمول يرجح هذا المعنى قوله في الشطر الثاني: "ينتظم البلاد"، وإما أن يكون المقصود بالعهد أول المطر الوسْمِي والمطر بعد المطر يدرك آخرهُ بلَلَ أوله [٢] على تشبيه الإصلاح بالماء، والمطر الذي من شأنه إحياء وإنماء ما يسقى به، واختص السقيا بمطر العهد (لأن مطر العهود أحسن ما يكون لقلة الغبار" [٣] ويكون مقصود الشاعر بالسقيا بمطر العهد تتابع الإصلاح على اللغة حتى ينظم جميع البلاد، واتسقت صياغة المضارعة في "ينتظم"، ودلالة العموم في "جميع"، والجمع في "البلاد" مع السياق.

ثم بيَّن سبب دعائه للغة بإصلاح ينتظم جميع البلاد بقوله:

---

(١) لسان العرب مادة "ع هـــ د".

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ت/مجموعة من المحققين، نشر دار الهداية ٤٥٦/٨.

(٣) لسان العرب مادة " ع هـــ د"

٣٤- فَمـــا مِـــنْ حاجَـــةٍ لِلْعِلْـــمِ إلاّ
يُقـــيمُ لَهـــا بِحِكْمَتـــهِ سِـــدادا [١]

٣٥- يَصـــونُ هِدايَـــةَ اللهِ اعْتِـــزازاً
بِهـــا وَأَضـــاعَها قَـــوْمٌ عِنـــادا

فاللغة هي أداة توصيل العلم وطريقته، وبالعلم التوفيق في قضاء الحاجات بما اشتمل عليه من حِكَمْ. وصياغة هذا المعنى بأسلوب القصر الذي طريقه النفي والاستثناء للمبالغة في وصف العلم بالإصابة والتوفيق فيما يقصد، في كل الحوائج بدلالة التنكير في "حاجة" فالعلم هو السبب الرئيس دون غيره في إقامة السداد وبسببه أيضًا تصان وبهداية ﷻ على سبيل المجاز العقلي في قوله: "يصون هداية ﷻ" أي يصونها صون اعتزاز على حين أضاعها قوم حقراء عنادًا منهم، ولعل الشاعر قصد بهذين البيتين أن من شأن العلم النفع فيما يقصد سواء أكان دنيويًا أم دينيًا. وعلى اختلاف المقصود [٢] بـــ "هداية" فالهداية تتطلب فكرًا واعيًا وعقلًا

(١) السَّداد: بالفتح معناه الإصابة في المنطق، ويقال: إنه لذو سداد في منطقه وتدبيره، والسداد: الاستقامة والتوفيق لسان العرب مادة "س د د".

(٢) هداية ﷻ:"هي إلهام خفي مسبق يقود الإنسان إلى الرشاد والبُعد عن الضلال عن طريق سلطة الخالق على إرادة البشر" تكملة المعاجم اللغوية رينهارت بيتر ذوزى، نقله إلى العربية محمد سليم النعيمي وجمال الخياط – دار الثقافة والإعلام بالعراق ، ط١ ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م، ٩/١١. وهى على أربعة أوجه منها الهداية لكل مكلف من العقل والفطنة والمعارف، والهداية التي دعاهم ﷻ إليها على ألسنة الأنبياء، والتوفيق لمن خصه ﷻ.....". راجع الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، ت/عدنان درويش، ومحمد المصري، نشر دار الرسالة ٩٥٤/١.

ناضجًا وهي طريق الحق الذي يرضاه الله –سبحانه وتعالى– والذى دعا إليه الإسلام في مَصْدَريه القرآن الكريم والسنة المشرفة، وبذا اتضح ارتباط العلم بهداية الله ، واللغة الفصحى هي: وسيلته وأداته و"الصَّون" أن تقي شيئًا أو ثوبًا والصائن هو "العلم" وحذف إيجازًا لقيام القرينة عليه، وهي تقدم ذكره في قوله: "فما من حاجة للعلم" في البيت السابق. ولقصد تعظيم وتشريف الهداية التي يصونها العلم أضيفت إلى لفظ الجلالة. وعلى وجه يفارق موقف العلم من هداية الله فإن قومًا أضاعوها ليس إلا للعناد فاستعمال المتطابقين "الصون، والضياع" عند الحديث عن هداية الله يوحي بصيانة محسوسة، وضياع ملحوظ ومن ثَمَّ تبين الحقُ وسبيلُه، والباطل وأهلُهُ، فلا مكان للزيغ يقول الشاعر:

٣٦- تَراءى الزَّيْغُ يَنْفُضُ مِذْرَوَيْــهِ

ويَمْسَــحُ عَــنْ لَوَاحِظِــهِ رُقــادا [1]

فزع الزيغ من انكشاف أمره، فإذا به ينفض مذريه، وهو يقال لمن جاء يختال باغيًا يتوعد من غير حقيقة، وأثبت للزيغ "مذراون، ولواحظ" تجسيمًا له على سبيل المكنية. واستحضارًا

(١) الزَّيغُ: الميل زاغ يزيغ زيغًا وزيغانًا وزُيُوُغًا: الميل عن الهوى والقصد والإيمان والعدول عن الطريق الحق– راجع لسان العرب مادة "ز ي غ" .ينفض مذرويه: الجانبان من كل شيء منكباه أو إليتاه" ينظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ت/ فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية طـ ١ ١٤١٨هـ–١٩٩٨م–٢/١٦٠، وإصلاح المنطق لابن السكيت ت/ محمد مرغب – نشر دار إحياء التراث طـ ١ ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م –١/١٨٠.

لصورته، وهو ينتفض للرحيل صاغ الفعل " ينتفض " على المضارعة، وكنى بالمسح عن لواحظه رقادًا عن فزعه يقال في المثل: "إذا فزع الفؤاد ذهب الرقاد" (١)

ثم يختم الشاعر قصيدته " فضل اللغة العربية بقوله:

٣٧- وَمَنْ يَصُنِ الهُدى مُلِـتْ يَـداهُ

نَجاحـاً كلَّمـا اسْـتَوْرى زِنـادا

وهو بمنزلة التذييل لما سبقه. إذ تحدثت الأبيات السابقة عن صون العلم لهداية الله ، وفي هذا البيت بيَّن عاقبة مَن يصونه، فتستشعر وكأن الشاعر أراد تطويلًا وتوكيدًا للمعنى المقصود لعظمه وشرفه، وبنى البيت على أسلوب الشرط إيحاءً بوقوع جوابه الذي صاغ فعله على صياغة الماضي في "ملئت" ، لتحقق امتلاء النجاح لمن يستمر على صيانة الهدى، وبهذا استطاع الشاعر أداء معناه أداءً جميلًا بهذا البيت الذي يشعر بقفل القصيدة وانتهائها دون أن يشعر القارئ بالملل.

(١) الفن ومذاهبه في التراث العربي لشوقي ضيف – دار المعارف طـ ٣ – ٢٢/١.

وقفة نقدية فنية بلاغية مع القصيدة :

صورت القصيدة بدقة عشق الشاعر الذي ملأ عليه أرجاء نفسه للعربية ورصدت مجدها، ودفاعه عنها بموهبته الشعرية واقتداره اللغوي، وخياله المستفيض بألوان البلاغة وأساليبها التي شاعت بكثرة في القصيدة ومنها الصور البيانية من استعارات مكنية جسَّم بها معانيه في بعضها وشخصها في البعض الآخر منها وراجع إن شئت بعضها في قوله: "فكر بات، هلال تهادى"، رد بياض غرتها، أجادت طرفها، قلنا للمنابر، أعارت سناها تجد الابتكار فيها جليًا والخيال رائعًا.

وكذلك الاستعارات التصريحية كان لها دورها في تصوير المعاني في صور جديدة حتى ترى بها الورقاء تشدو، والغيث يحوك البجاد، والخليقة تنضو لتقع حواسنا على تلك المعاني مدركة بها وتطبعها بطابع الجدة والحداثة، وأما التشبيه فجاء في خمسة مواضع فيها بعض التشبيهات المبتكرة نحو تشبيه القلوب بالجآذر والبلاغة بالسنا والقول بالعِنان، وانتشار اللغة بسير المزن.

وأما المجاز المرسل فقد قل وروده في القصيدة حيث جاء مرة واحدة بعلاقة الجزئية، وكذا الكناية لم ترد إلا في موضعين وباستقراء الأفكار التي درات القصيدة حولها نجدها ما بين تصوير، وتأكيد لفضل الفصحى ومدى اتساعها والشكوى ممن تجنوا على العربية في محاولتهم تقديم العامية عليها، فنفس الشاعر نفس ضائقة

تريد إبراز شكواها بحكمة وهذا مما يتناسب مع الصور ذات العلاقات المتشابهة حتى يطبع ما به في قلب، وعقل المتلقي بلا توان بحثًا عن لازم الألفاظ أو علاقاتها. وهذا ينبئ أيضًا عن سر بناء القصيدة على الأسلوب الخبري لمناسبته لغرضها من بيان فضل الفصحى وإبراز مكانتها. وشرفها بنزول القرآن بها وهذا فيما يناسبه الأسلوب التقريري دون الطلب. وتنوع الأسلوب فيها بين التنكير والتعريف بـــ "ال" العهد في "الهلال، الذكر" و"ال" الجنسية في "الأديب" والتعريف بالإشارة في "هذا الذكر" وهذا مجمع وتلك معاهد، وبالموصولية في "بما أراد" والتعريف بالإضافة، كما تنوعت أغراض التنكير بين التعظيم، والتعميم، والتكثير في "قلوبًا، حكمًا، خير، ووجد" أما المجاز العقلي فقد ورد في القصيدة في ستة مواضع في بعلاقة السببية حيث جاء بها في خمسة مواضع في قوله: "يحيي كل أرض"، "يسعده البيان"، "بنى العيش"، "طوقها كتاب الله مجدًا"، "اشتفى بالوصل زادًا" وبعلاقة المجاورة في موضع واحد في قوله: "هات السيف يخطر في مضاء" وبالزمانية في موضع واحد في قوله: "غديري من زمان ظل يحيز على الفصحى" وقد جاء القصر بطريق النفي والاستثناء، والتقديم وأما الصبغ البديعي، فقد كان أداته الفعالة في تأكيد المعاني كما كان لها جميل الأثر في إحداث الإيقاعات الصوتية والموسيقى، من خلال أسلوب الطباق إيجابًا وسلبًا الذي ورد في ستة مواضع راجع إن شئت قوله : "هات

وخل" "أنسى ولا أنسى"، و"وهادا، ونجادا" "بياض، سوادا" "ثمادا، فياض"، " طارف، تالد" وقتادًا وقتاما".

استطاع التصريع في مفتتح القصيدة أن يؤسس لنغمات رنانة إصغاءً للأسماع وإطرابًا لها. وإلحاحًا من الشاعر في الإقناع بِفِكَرِهِ وتأكيداً لها كرر بعض الألفاظ نحو لفظة "سدادًا" في البيت الأول والبيت الرابع والثلاثون. ولفظة "نجادا" في البيت الخامس، والبيت السادس عشر. كما تكررت بعض الألفاظ في البيت الواحد ردًا للعجز على الصدر في ثلاثة مواضع تآذرت مع الجناس في "تحاذر" و"جآذر" في إحداث نغمات موسيقية ذات إيقاع مميز.

كما تميزت القصيدة بحسن الابتداء في قوله:

١- شَـــبيهانِ: الهِـــلالُ إذا تَهـــادى

وَفِكْـــرٌ بـــاتَ يَرْتـــادُ السَّـــدادا

إذ أفصح البيت عن غرض القصيدة المنشود، وهو: بيان فضلها في التعبير عن فكر الإنسان الذي لولاها لظل فكره حبيسًا في نفسه وخرج الإنسان عن الصفة المميزة لآدميته من الإفصاح والإبانة، كما اتصفت الأبيات التي قفل بها الشاعر القصيدة في قوله:

٣٧- وَمَنْ يَصُنِ الهُدى مُلِـتْ يَـداهُ

نَجاحـــاً كلَّمـــا اسْـــتَوْرى زِنـــادا

بحسن الانتهاء إذ ربط البيت بين صيانة العلم لهداية الله والنجاح، وذلك بفضل قوة اللغة ذات المفردات الغزيرة، والتراكيب الرصينة، والمعاني السلسة، والألفاظ الجزلة وهو ما جعلها لغة قادرة على صياغة هذه العلوم الجامدة وقواعدها المعقدة.

الخاتمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن اقتدى. فبعد هذه السياحة في تراث عالم من علماء الأزهر، وشيخ من شيوخه في قصيدته "فضل اللغة العربية في ديوان خواطر الحياة" لوحظ أن القصيدة أقرب إلى الشعر التقليدي من الشعر المعاصر حيث التزمت معايير الشعر العمودي من حيث التزامها ببحر عروضي وقافية، وانتقاء ألفاظها بدقة، واستعمال الألفاظ العربية القديمة مع ملائمتها للغرض، وظهور صدق عاطفة الشاعر التي بدت من أول القصيدة إلى ختامها. وتنوع الأساليب البلاغية في القصيدة كل ذلك جعل من القصيدة لوحة جميلة تفيض بالأحاسيس والإيحاءات، وتنبئ عن قوة إبداع الشاعر.

كما تميزت القصيدة بالوحدة الموضوعية حيث كان حديث الشاعر في مبناها عن الفكر، والبيان، وعلاقتهما بالقول ثم الآداب، ووصف ولعه بها، وتأثير العرب الأوائل، وخاصة قريش فيها ثم شرف العربية الفصحى بنزول القرآن الكريم بها، وأثره في بقائها، وبيان فضل الفصحى على كل أرض وخاصة غير العرب. كما تميزت أيضًا بالوحدة العضوية إذ تسلسلت أفكارها تسلسلًا محكمًا وبدا الترابط بين أبياتها على النحو الذي بدا في عرض فكر القصيدة حيث أسلمت كل فكرة إلى ما بعدها في تناسب فاتسمت بحسن التخلص.

وبدت عاطفة الشاعر في القصيدة قوية جياشة عندما تحدثت عن ولعه بالآداب في قوله: "وينزع بي الآداب وجد"، وهواه للفصحى في قوله: "فما أهوى سوى لغة" وسيطرة هذا الهوى عليه في قوله: "فأنسى معبدًا وعريب ولا أنسى البديع ولا العمادا" وقوله:" وأسلو الروض ولا أسلو الطروس" وأيضًا في دفاعه عن الفصحى ضد من اجتنوا عليها في كل زمان. أيضًا خلت القصيدة من العيوب التي تخل بفصاحة الكلام مع ملائمتها للسياق مما وسمها بالبلاغة. ظهرت في القصيدة شخصية الشاعر الأزهرية المؤمنة بأنه لا فلاح لأمر إلا بتوفيق الله، وتقرير بتلازم العلم الذي أداته اللغة الفصحى والإيمان. كما طبعت القصيدة في أنفسنا مدى اعتزاز الشاعر بتراثه العربي القديم، وحرصه على معالجة القضايا المطروحة، وقوة انتمائه، وولائه لوطنيته العربية المصرية.

وفي الختام توصي الدراسة بالتوجه لديوان خواطر الحياة، ومدارسته ففيه مجال لدراسات بلاغية وأدبية وقضايا فكرية وتاريخية يمكن أن تضيف للمكتبات العربية دراسات قيمة. كما توصي باستجماع العزيمة واستنهاض الهمم من أجل إصلاح العربية، وغرس قيمة العربية في نفوس النشئ العربي وتربيته علي الفصحى ،وفرض استعمالها في كل مجالات الحياة وخاصة التعليمية منها حتى نؤدى أمانتنا تجاه اللغة المصفاة.

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام وسلم تسليمًا كثيرًا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١ – ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي، ت/رجب عثمان محمد مراجعة رمضان عبدالتواب، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة طـــ١ ١٤١٨هـــ– ١٩٩٨م .

٢ – أرشيف ملتقى أهل الحديث ٣، منتدى عقيدة أهل السنة والجماعة http:/www.ahlalhadeeth.com.

٣ – الأزهر في ألف عام، محمد عبد المنعم خفاجي ٣٢٨/١ – عالم الكتب بدون طبعة.

٤ – إصلاح المنطق لابن السكيت ت/ محمد مرغب– نشر دار إحياء التراث طـــــ١ ١٤٢٣هـــ– ٢٠٠٢م.

٥ – أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث لأحمد تيمور– نشر دار الآفاق ١٤٢٣هـــ – ٢٠٠٣م.

٦ – الأعلام للزركلي طـــ٥ /٢٠٠٢م – دار العلم للملايين.

٧ – الإيقاعات الرديفة والإيقاعات البديلة في الشعر العربي د/مصلح عبدالفتاح أفنان مجلة جامعة دمشق المجلد٢٣ العدد الأول.

٨ – تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ت/مجموعة من المحققين، نشر دار الهداية.

٩ – تاريخ إربل لابن المستوفي ت/ صامى بن سيد بن خماس الصقاد نشر دار الثقافة – دار الرشيد ١٩٨٠م.

١٠ – تاريخ دمشق لابن عساكر، ت/ عمرو بن عزامة العمروي نشر دار الفكر ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
١١ – كتاب "تراجم المؤلفين التونسيين" للمحقق والأديب الأستاذ محمد مصطفى محفوظ – ط٢ ١٩٩٤م– بيروت – لبنان دار الغرب الإسلامي.
١٢– تكملة المعاجم اللغوية رينهارت بيتر ذوزى، نقله إلى العربية محمد سليم النعيمي وجمال الخياط – دار الثقافة والإعلام بالعراق ، ط١ ١٩٧٩–٢٠٠٠م.
١٣ – خصائص التراكيب لأبي موسى مكتبة وهبة، ط ٧.
١٤ – دلالات التراكيب لأبي موسى– مكتبة وهبه الطبعة الرابعة١٤٢٩–٢٠٠٨م.
١٥ – ديوان خواطر الحياة ضمن الموسوعة الكاملة لأعمال الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر وعلامة المغرب أعتنى به ابن أخيه المحامي على الرضا الحسيني ط١/ ١٤٣١هـ–٢٠١٠م –دار النوادر–سوريا–لبنان–الكويت.
١٦ – سير أعلام النبلاء للذهبي ت/مجموعة من المحققين بإشراف الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة _ط٣ ١٤٠٥_١٩٨٥.
١٧ –عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للسبكي، ت/ عبدالحميد هنداوى، نشر دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ، ط١ ١٤٢٣–٢٠٠٣م.

١٨ – علم العروض والقوافي د/عبدالعزيز عتيق، نشر دار النهضة العربية– بيروت–لبنان.
١٩ – الفروق اللغوية للعسكري، ت/ محمد إبراهيم سليم – نشر دار العلم والثقافة بالقاهرة .
٢٠ – الفن ومذاهبه في التراث العربي لشوقي ضيف_ دار المعارف طـــــ٣.
٢١ – القاموس المحيط للفيروز أبادي ت/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم الرقسوسي نشر مؤسسة الرسالة طـــ٨ ١٤٢٦هـــ – ٢٠٠٥م.
٢٢ – الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، ت/عدنان درويش، ومحمد المصري، نشر دار الرسالة.
٢٣ – لسان العرب لابن منظور دار الحديث، ١٤٢٣هـــ–٢٠٠٣م.
٢٤ –كتاب لغتنا والحياة د/عائشة عبد الرحمن ط٢ ١٩٩٨ د ار المعارف.
٢٥ – مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ لجهاد التربانى – تقديم الشيخ محمد بن عبد الملك الزغبي، نشردار التقوى القاهرة مصر ط١ ١٤٢١ هـــ_٢٠١٠م .
٢٦ – المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ت/ عبدالحميد هنداوي دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان طـــ١ – ١٤٢١هـــ– ٢٠٠٠م.

٢٧ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين الهيثمي ت/ حسام الدين القدسي – نشر مكتبة القدسي ١٤١٤هـ–١٩٩٤م/ باب ما جاء في فضل العرب رقم١٦٦٠٠.

٢٨ – مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لأبي محمد اليافعي وضع حواشيه خليل المنصور – دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.

٢٩ – المرشد إلى فهم أشعار العرب د/عبدالله الطيب المجذوب نشر دار الأحمد الإسلامية، وزارة الإعلام –الصفاة، الكويت ط٢ ١٤٠٩هـ.

٣٠ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ت/ فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٨هـ–١٩٩٨م.

٣١ – معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي ت /إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت ط١– ١٤١٤هـ.

٣٢ – معجم المؤلفين لكحالة، مكتبة المثنى –بيروت– دار إحياء التراث.

٣٣ – المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشمولة بـ "شرح الشواهد الكبري" لبدر الدين العيني، ت أ.د/ علي محمد فاخر، أ.د/ أحمد محمد توفيق السوداني نشر دار السلام ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

٣٤ – منهاج البلغاء، وسراج الأدباء لأبي حازم القرجاني ت. محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية – تونس ١٩٩١.

٣٥ – مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص دار الكتب العلمية- بيروت لبنان.

٣٦ – كتاب موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر وعلَّامة المغرب- جمع وضبط المحامي علي الرضا طـــ١-١٤٣١هـــ -٢٠١٠م- دار النوادر- سوريا.

٣٧ – وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي- دار الكتب العلمية طـــ١- ١٤٢١هـــ - ٢٠٠٠م.

٣٨ – وفيات الأعيان لابن خلكان، دار صادر_بيروت ١٩٠٠.

10 - http//arwikioedia.org/wiki"-3910 ."

1-Artishaf Aldarb Min Lisan Alearab li Abi Hayaan Al'andalsi, ta/Rajib Othman Muhamad Murajaeat Ramadan Abdaltawab, nashr maktabat alkhanji bialqahirih ta1 1418 AH-1998 AD .

2-Arshif Multaqaa Ahl Alhadith 3, Muntadaa Aqidat Ahl Alsunat Waljamaeat http:/www.ahlalhadeeth.com.

3-Al'azhar fi Alf Am, Muhamad Abd Almuneim Khafaji 1/328 - Alam Alkutub Bidun tabeatin.

4- Islah Almantiq li Ibn Alsakit ti/ Muhamad Marghabi- nashr dar Ihya' Alturath ta1 1423AH- 2002AD.

5-Alam Alfikr Al Islamii fi Aleasr Alhadith li Ahmad Timur- nashr dar alafaq 1423AH – 2003AD.

6-Al'aelam lil Zirklii ta5 /2002AD - dar aleilm lilmalayini.

7-Al Iqaeat Alradifat Wal'iiqaeat Albadilat fi alshier alearabii Dr/Maslah Abdalfataah Afnan Majalat Jamieat Dimashq Almujaladi23 aleadad al'uwwla.

8-Taj Alearus Min Jawahir Alqamus lil Zubaydii ta/Majmueat min Almuhaqiqina, nashr dar alhidayati.

9-Tarikh Irbil li Ibn Almustawfi ta/ Samaa Bin Sayid Bin Khamaas Alsaqaad nashr dar althaqafat - dar alrashid 1980 AD.

10- Tarikh Dimashq li Ibn Asakri, ta/ Amr bin Azamat Aleumrawii nashr dar alfikr 1415 AH – 1995 AD.

11- Kitab "Tarajim Almualifin Altuwnisyin" lilmuhaqiq wal'adib Al'ustadh Muhamad Mustafaa Mahfuz - ta2 1994 AD- Bayrut - Lubnan dar algharb al'iislamii.

12- Takmilat Almaeajim Allughawiat Rinhart Bitar Dhuzaa, Naqalah Ilaa Alearabiat Muhamad Salim Slnueaymi Wajamal Alkhayaat _dar althaqafat wal'iielam bialeiraq , ta1 1979_2000 AD.

13-Khasayis Altarakib li Abi Musaa maktabat wahbata, t 7.

14- Dalalat Altarakib li Abi Musaa- maktabat wahabh altabeat alraabieatu1429 AH-2008AD.

15- Diwan Khawatir Alhayaat Dimn Almawsueat Alkamilat li Amal Alshaykh Muhamad Alkhadar Husayn Shaykh Aljamie Al Azhar waealamat almaghrib 'aetanaa bih Ibn 'akhih almuhami ealaa alrida alhusaynii ta1/ 1431AH-2010 AD - dar alnnwadir-Surya-Lebnan-Alkuayt.

16- Sayr Alam Alnubala' lildhahabii ta/Majmueat Min Almuhaqiqin bi Ishraf Al'arnawuwt_muasasat alrisalat _t3 1405_1985.

17-Arus Al'afrah fi Sharh Talkhis Almiftah lil Sabki,

ti/ Abdal Hamid Hindawaa, nashr dar alkutub aleilmiati, Bayrut_Lubnan ,t1 1423-2003 AD.

18- Elm Alearud Walqawafi Dr/Abdial Aziz Atiqi, nashr dar alnahdat alearabiati- Bayrut-Lubnan.

19- Alfuruq Allughawiat lil Askari, ti/ Muhamad Ibrahim Salim - nushr dar aleilm walthaqafat bi Alqahirih.

20- Alfanu Wamadhahibuh fi Alturath Alearabii li Shawqi Dayfa_ dar almaearif ta3

21- Alqamus Almuhit lil Fayruz Abadi ta/ Maktab tahqiq alturath fi muasasat alrisalati, Ishraf Muhamad Naeim Alraqsusi nashr muasasat alrisalat ta8 1426 AH – 2005 AD.

22- Alkuliyaat Muejam fi Almustalahat Walfuruq Allughawiat li Ayuwb Bin Musaa Alhusayni Alqarimii Alkafawi, ta/Adnan Darwish, Wa Muhamad Almasri, Nashr Dar Alrisalati.

23- Lisan Alearab li Ibn Manzur Dar Alhadithi, 1423 AH-2003 AD.

24-Kitab Lughatina Walhayaat Dr/Ayishat Abd Alrahman ti2 1998 Dar Almaearif.

25- Miayat Min Azama' Umat Al Islam Ghayarwa majraa altaarikh li Jihad Altarbani -taqdim alshaykh muhamad bin eabd almalik alzaghbi,nshirdar altaqwaa alqahirat misr tu1 1421 AH_2010 AD .

26- Almuhakam Walmuhit Al'aezam li Ibn Sayidih ti/

Abdalhamidhindawi Darialkutub Aleilmiat-Bayrut- Lubnan ta11421 AH-2000 AD .

27- Mujmae Alzawayid Wamanbae Alfawayid l Abi Alhasan Nur Aldiyn Alhaythami ta/ Husam Aldiyn Alqudsii - nashr maktabat alqudsii 1414 AH-1994 AD/ bab ma ja' fi fadl alearab raqami16600.

28- Murat Aljanan Waeibrat Alyaqzan fi Maerifat ma Yaetabarmin Hawadith Alzaman li Abi Muhamad Alyafiei wade Hawashih khalil Almansur _Darialkutub Aleilmiat Bayrut Lubnan ta1 1417 AH_1997 AD.

29- Almurshid Ilaa Fahm Ashear Alearab da/eabdallah altayib almajdhub nashr dar al'ahmad al'iislamiati, wizarat al'iielam - alsafaata, alkuayt ta2 1409 AH.

30- Almuzhar fi Olum Allughat Wa'anwaeuha lilsuyutii ti/ fuaad ealii mansur, alnaashir: dar alkutub aleilmiat ta1 1418 AH-1998 AD.

31- Muejam Al'udaba' Irshad Al'arib Ilaa Maerifat Ml Adib liaqut Alhamawi t /Ihsan Abaas, dar algharb al'iislamii Bayrut ta1- 1414h.

32- muejam almualifin likahalati, maktabat almuthanaa -birut- dar 'iihya' altarathi.

33- Almaqasid Alnahwiat fi sharh shawahid shuruh al'alfiat almashmulat bi "Shrh Alshawahid Alkibri" libadr aldiyn aleayni, t 'a.di/ Ali

muhamad fakhar, 'a.da/ 'ahmad muhamad tawfyq alsuwdani nashr dar alsalam ta1, 1431h - 2010m.

34- Minhaj Albulagha'i, Wasiraj Al'udaba' li Abi Hazim Alqirjanii ti. muhamad alhabib bn alkhawjati, dar alkutub alsharqiat - tunus 1991.

35- Mawahib Alfataah Dimn Shuruh Altalkhis dar alkutub aleilmiati-Bayrut Lubnan.

36- Kitab Mawsueat Al Amal Alkamilat lil'iimam muhamad alkhadar husayn shaykh aljamie al'azhar wellamt almaghribi- jame wadabt almuhami eali alrida ta1-1431 AH -2010 AD- dar alnawadir-Surya.

37- wahy Alqalam limustafaa Sadiq Alraafieii- Dar alkutub Aleilmiat ta1- 1421 AH – 2000 AD.

38- Wafayat Al'aeyan liabn khalkan, dar sadr_birut 1900.

39 http//arwikioedia.org/wiki"-"

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
المقدمة	٦٠٣
التمهيد: أولًا التعريف بالشاعر	٦١٠
ثانيًا: نبذة عن اللغة العربية وفضلها	٦٢٠
وصف لديوان خواطر الحياة	٦٢٣
وصف للقصيدة مناسبتها وأفكارها وبحرها وعرضها	٦٢٤
نص القصيدة	٦٢٣
التحليل البلاغي للقصيدة	٦٣١
المبحث الأول: حديثه عن الفكر والبيان	٦٣٢
حديثه عن الفكر وعلاقته بالقول	٦٣٢
حديثه عن البيان وعلاقته بالمعاني	٦٣٧
المبحث الثاني: وصف وجده بالآداب والبحث والعربية	٦٤٢
وصف وجده بالآداب والأدباء	٦٤٢
وصف وجده بالبحث ابتكارًا وانتقادًا	٦٤٥
وصف وجده بالفصحى	٦٤٦
المبحث الثالث: فضل الذكر الحكيم في تمجيد العربية وفضلها على كل أرض وعلم	٦٤٨
القرآن سبب مجد العربية	٦٤٨

الموضوعات	الصفحة
فضل العربية على كل أرض	٦٥١
أثر العربية على غير العرب	٦٥٢
المبحث الرابع: اجتناء الزمان على الفصحى وفضل القرآن الكريم ومصر في بقائها	٦٥٧
اجتناء الزمان على الفصحى	٦٥٧
فضل القرآن الكريم في بقائها	٦٥٨
فضل مصر في بقائها	٦٥٨
وقفة نقدية فنية بلاغية مع القصيدة	٦٧٠
الخاتمة	٦٧٤
فهرس المصادر والمراجع	٦٧٦
فهرس الموضوعات	٦٨٦